دولة ماليزيا
وزارة التعليم العالي (KPT)
جامعة المدينة العالمية
كلية العلوم الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القران

موقف المنافقين من الجهاد

من خلال سورة التوبة (دراسة موضوعية)

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القران

اسم الباحث : دورامي ياسينج جئ مه
MTF103AE885

تحت إشراف : الأستاذ المشارك الدكتور حاتم محمد منصور مزروعة
عضو هيئة التدريس في التفسير وعلوم القران في كلية العلوم الإسلامية

العام الجامعي : 1433هـ - 2012م

صفحة الإقرار

صفحة الإقرار

أقرت جامعة المدينة العالمية بماليزيا بحث الطالب (دورامي ياسينج جئ مه) من الآتية أسماؤهم:

المشرف

الدكتور حاتم محمد منصور مزروعة

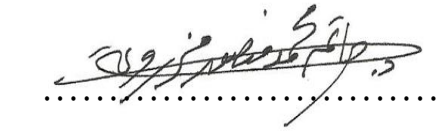

.....

الدكتور السيد سيد أحمد نجم

الممتحن الداخلي

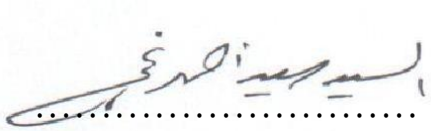

.....

الدكتور عبد الغني قمر جمعة جاد الله

الممتحن الخارجي

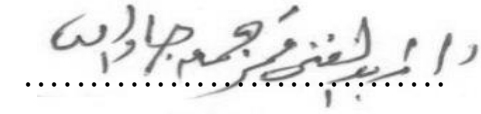

.....

الدكتور أحمد محمد عبد العاطي

الرئيس

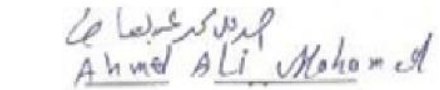

.....

APPROVAL PAGE

The dissertation of (Doromae Jehmoh) has been approved by the following:

_____

Supervisor

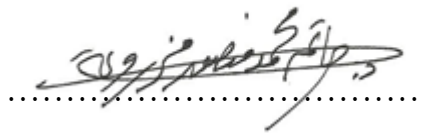

.....

_____

Internal Examiner

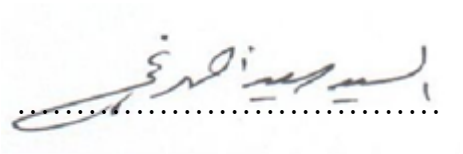

.....

_____

External Examiner

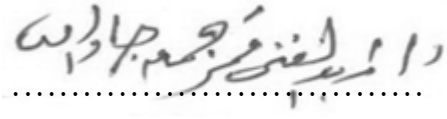

.....

_____

Chairman

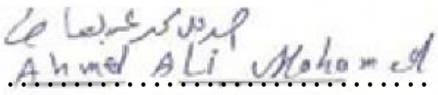

.....

إعلان

أقر بأن هذا البحث هو من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، وقد عزوت النقل والاقتباس إلى مصادره.

اسم الطالب: دورامي ياسينج جئ مه

التوقيع:

التاريخ:

21/2/2013

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigation, except where otherwise stated.

Student's name: Doromae Jehmoh

Signature:

.....

Date:

21/2/2013

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع 2009 © محفوظة لـ (دورامي ياسينج جئ مه)

عنوان البحث: " موقف المنافقين من الجهاد من خلال سورة التوبة "دراسة موضوعية"

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب من الباحث إلاّ في الحالات الآتية:

1. يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.
2. يحق لجامعة المدينة العالمية بماليزيا الإفادة من هذا البحث بشتى الوسائل وذلك لأغراض تعليمية، وليس لأغراض تجارية أو تسويقية.
3. يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكّد هذا الإقرار: دورامي ياسينج جئ مه

التاريخ

التوقيع

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عنوان البحث (**موقف المنافقين من الجهاد من خلال سورة التوبة "دراسة موضوعية"**) يهدف البحث إلى : بيان موقف المنافقين وسماتهم من خلال سورة التوبة، واشتماله على النواحي الموضوعية.

وقد قسمت البحث إلى تمهيدي وثلاثة فصول، تناولت في التمهيد عن التعريف والمناسبات والمعلومات عن التفسير الموضوعي، وفي الفصل الأول المنافقين من خلال السورة، وفي الفصل الثاني الجهاد في سبيل الله من خلال السورة ، وفي الفصل الثالث موقف المنافقين من الجهاد، وجعلت تحت كل مبحث ما يناسبه، وسلكت في ذلك منهج التفسير الموضوعي، ولم أتعرض للمباحث التحليلية إلا بما تفرضه طبيعة البحث، وقد حرصت على اختيار المصادر الأصلية في البحث، وكل أمل ورجاء أن ينفع الله – عز وجل – به كل من قرأه وتأمله، وما ذلك على الله بعزيز، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

دورامي ياسين جئ مه

.....

ABSTRACT

All praises be to ALLAH, The Lord of the Universe, peace be upon our prophet Muhammad, his family and all his companions.

Research Title: **The Position of the Hypocrites towards Jihad through Surah al-Taubah: A Thematic Study.**

This research aims at: elucidating the position of the hypocrites and their characteristics based on Surah al-Taubah and the themes that are covered in it.

So, this research is divided into an introduction and three chapters. The introduction deals with the definitions and some issues about the thematic Qur'an exegesis, while the first chapter deals the hypocrites in the Surah. The second chapter is about Jihad for the sake of ALLAH through Surah al-Taubah. The third chapter is about the position of the hypocrites towards Jihad. Each chapter suits with its content following the thematic methodology in the Qur'anic exegesis. We have not dealt with the elaborated details unless needed. Also, we have strived to select only the primary sources; hoping that the Almighty ALLAH benefits whoever reads this research, this is, indeed, a mere task for Him. He is Sufficient for us, and He is the Best Disposer of our affairs. May ALLAH bless our Prophet Muhammad, his family, and all his companions.

Researcher
Doramae Jehmoh

شكر وتقدير

اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فإن الشكر لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، ثم لوالدي الكريمين، وزوجي الغالية، ثم لأساتذتي الكرام في جامعة المدينة العالمية، وأخص منهم بالذكر وجزيل الشكر مشرفي الفاضل، **الدكتور حاتم محمد منصور مزروعة**، بما تفضّل به عليَّ من نصح وتوجيه وإرشاد وتقويم، وأفاض عليَّ من وقته وعلمه الكثير، حفظه الله تعالى وأدامه لخدمة طلبة العلم، ونفع به وبعلومه في الدارين.

وأتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة:

فضيلة الدكتور: عبد الغني قمر جمعة جاد الله حفظه الله

فضيلة الدكتور: السيد سيد أحمد نجم حفظه الله

فضيلة الدكتور: احمد علي عبد العاطي حفظه الله

لتفضلهم بقبول مناقشة الرسالة ومراجعتها وتدقيقها، وتكرمهم بإرشادي إلى مواطن الخلل حتى أسده، والنقص حتى أتمه، والخطأ حتى أصوبه.

ثم أشكر لجميع الأساتذة في مدرسة عزيز ستان، بما قدّمه لي من توجيهات ونصائح قيمة أثناء كتابتي للبحث.

فجزاهم الله عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

الإهداء

إلى روح نبينا الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

إلى والدتي التي غمرتني بحنانها

إلى والدي الذي رباني على حب القرآن وطلب العلم

إلى زوجي التي تحملت شظف العيش مع بناتي في فترة دراستي

إلى المجاهدين لتكون كلمة الله هي العليا

أهدي هذا العمل المتواضع اعترافاً بتضحياتهم وصبرهم ووفاءً لهم

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث.	1
ملخص البحث باللغة الإنجليزية.	2
شكر وتقدير.	3
الإهداء.	4
فهرس المحتويات.	5
مقدمة.	9
مشكلة البحث.	9
أهداف البحث	10
أهمية الموضوع.	10
منهج البحث.	10
الدراسات السابقة.	11
هيكل البحث.	11
الفصل التمهيدي : بين يدي السورة.	15
المبحث الأول: التعريف العام بالسورة.	16
المطلب الأول: عدد آيات السورة وأسماؤها.	17
المطلب الثاني: الجو العام للسورة.	24
المطلب الثالث: سبب عدم ابتداء السورة بالبسملة.	27
المطلب الرابع: أول ما نزل وآخر ما نزل من السورة.	30
المطلب الخامس: سبب ومكان نزول السورة.	34
المبحث الثاني: المناسبات في السورة.	40
المطلب الأول: معنى المناسبة لغة واصطلاحا.	41
المطلب الثاني: فوائد معرفة المناسبة.	43

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها "سورة الأنفال".	45
المطلب الرابع: مناسبة السورة لما بعدها "سورة يونس".	48
مناسبة آخر سورة التوبة بأول "سورة يونس".	48
مناسبة آخر "سورة التوبة" وآخر "سورة يونس"	49
المطلب الخامس: مناسبة أول السورة لآخرها.	50
المبحث الثالث : معلومات أولية عن التفسير الموضوعي .	53
المطلب الأول: التفسير الموضوعي لغة واصطلاحا .	54
المطلب الثاني: أهمية التفسير الموضوعي .	55
المطلب الثالث: خصائص التفسير الموضوعي .	57
الفصل الأول : المنافقون من خلال السورة.	58
المبحث الأول: صفات المنافقين.	59
المطلب الأول : النفاق لغة واصطلاحا.	60
المطلب الثاني: أنواع النفاق.	61
الفرع الأول: النفاق الاعتقادي.	61
الفرع الثاني: النفاق العملي.	62
المطلب الثالث: أصناف الناس من خلال السورة.	64
الفرع الأول: المشركون.	64
الفرع الثاني: أهل الكتاب.	64
الفرع الثالث: المؤمنون.	65
الفرع الرابع: المنافقون.	66
المطلب الرابع: صفات المنافقين من خلال السورة.	70
المبحث الثاني: خطورة المنافقين داخل المجتمع المسلم.	73
المطلب الأول: علاقة المنافقين بأهل الكتاب والمشركين.	74
المطلب الثاني: صور من فضائح المنافقين وإرجافهم في خذلان المسلمين.	76

المطلب الثالث: الحلف عند المنافقين.	85
الفصل الثاني : الجهاد في سبيل الله من خلال سورة التوبة.	89
المبحث الأول: تعريف الجهاد وأنواعه وحكمه.	90
المطلب الأول: تعريف الجهاد لغة واصطلاحا.	91
المطلب الثاني: أنواع الجهاد وحكمه.	92
الفرع الأول: أنواع الجهاد.	93
الفرع الثاني: حكم الجهاد في سبيل الله تعالى.	94
الفرع الثالث: الجهاد فريضة إلهية وسنة كونية.	96
المطلب لثالث: أهمية الجهاد وأهم فوائده من خلال سورة التوبة.	97
المبحث الثاني: الجهاد ضرورة أمنية وحاجة إسلامية.	101
المطلب الأول: أوجه الشبه والاختلاف بين اليهود والنصارى من خلال السورة.	102
المطلب الثاني: خطورة التشبه بأهل الكتاب، وتتبعهم.	107
المطلب الثالث: الجهاد ماض إلى قيام الساعة.	109
المطلب الرابع: النتائج السلبية لترك الجهاد في سبيل الله.	112
المطلب الخامس: نصر الله قائم بجهاد المخلصين.	114
المطلب السادس: عوامل النصر والأثر التربوي على المجاهدين.	115
الفرع الأول: عوامل النصر.	115
الفرع الثاني: الأثر التربوي على سلوك المسلم أثناء جهاده.	117
الفرع الثالث: الأخلاق التربوية أثناء المعركة.	117
الفرع الرابع: الآثار المترتبة على الخشية من الناس دون الخشية من الله تعالى.	120
الفصل الثالث: موقف المنافقين من الجهاد.	121
المبحث الأول: الاعتذار عن الجهاد بحجج واهية.	122
المبحث الثاني: الإرجاف والتثبيط وإثارة الفتنة.	124
المبحث الثالث: الخوف من الجهاد.	127

المبحث الرابع: التربص بالمؤمنين.	128
المطلب الخامس: الأثر التربوي على المؤمنين من خلال مواقف المنافقين.	130
المبحث السادس: الآثار والأخطار المحدقة بالمسلمين بسبب وجود المنافقين بينهم.	136
الخاتمة.	138
فهارس المصادر والمراجع.	140
أولا: فهرس الآيات القرآنية.	141
ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية.	148
ثالثا: فهرس الأعلام.	150
رابعا: فهرس المصادر والمراجع.	154
أ-المراجع العامة.	154
ب- المراجع الحديث الشريف.	160
ج- المراجع والرسائل والبحوث ومواقع شبكة المعلومات "الحاسوب".	161

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا[1] ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد ، أرسله الله بالهدى ودين الحق فأشرقت برسالته الأرض بعد ظُلُماتها ، وتألفت به القلوب بعد شتاتها ، وامتلأت به الأرض نوراً وابتهاجاً ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ... أما بعد :

لقد كان للمفسرين جهود واضحة في خدمة كتاب الله – عز وجل – وبيان معانيه ، وإيضاح علومه ، وتفسير ألفاظه ومفرداته ، وقد دُوِّنت في ذلك الكتب والمؤلفات المطولة والمختصرة ، وقد سجلت سورة التوبة الأحداث الكبيرة التي شهدتها الدعوة الإسلامية ، خاصة فيما يتعلق بالمنافقين والجهاد، لكي يتبين لنا الأسلوب الأمثل الذي يجب أن نسلكه في هذين المجالين في العصر الحاضر .

هذا الذي دفعني أن أخوض غمار سورة التوبة التي تعالج ما نحن فيه من مشكلات من خلال دراسة لهذه السورة، وتحليلها بشكل موضوعي محاولا وضع تصور يمكن أن يكون فيه بصيص أمل للحد من علقمٍ نعيشه، فكان موضوع رسالتي بعنوان: " موقف المنافقين من الجهاد من خلال سورة التوبة "دراسة موضوعية". فكان فضل الله عليَّ ومنُّه العظيم، أن أكون ممن يبحث في كتاب الله تعالى ويسبر أغواره، ويلتقط غزير دره.

لقد جاءت السورة لتبين أهمية التوبة للناس، ليكونوا أحرارا وذوي هيبةٍ وكيان مستقل بالجهاد بعد أن كانوا تبعا وعبيدا للفرس والروم، وتبين خطر المنافقين من خلال فضح مخازيهم وصفاتهم التي كشفتها السورة

وسأتناول بإذن الله تعالى موضوع المنافقين وموقفهم من الجهاد من خلال سورة التوبة – لأنه من أهم الموضوعات التي عالجتها السورة ، راجيا من العلي القدير أن يلهمني الصواب، إنه نعم المولى ونعم النصير.

1–مشكلة البحث : –

وقد حاولت من خلال البحث ، التقيد بما وردت به الآيات القرآنية الكريمة في سورة التوبة عن المنافقين ودروس جهادية ، وما يتعلق بها من تربية وتهذيب لأخلاق المسلم تجاه من ذكروا في هذه السورة ، وعدم التوسع في الآيات المتعلقة في موضوع المنافقين والجهاد أكثر مما يحتاج إليه المقام.

---

1 سورة الكهف ، الآية : 1.

2-أهداف البحث :-

1- إظهار فضل الجهاد في سبيل الله تعالى، والتعريف بالجهاد وبيان أهميته.

2- فضح المنافقين وكشف مؤامراتهم، وذكرٌ لأمراضهم واضطراباتهم النفسية.

3- إظهار خطورة ابتعاد المسلمين عن دينهم بتشتتهم وولائهم لغير الله تعالى.

4- إظهار وجه الإعجاز القرآني في علاج قضايا المجتمع الإسلامي والإنساني.

3-أهمية الموضوع : -

يمكن تلخيص أهمية البحث في النقاط التالية :

1- أن المنافق فرد من أفراد مجتمع المسلمين ، وهو في الوقت ذاته عدو داخلي مستتر، بخلاف العدو الخارجي فهو واضح وظاهر المعالم.

2- كثرة الحديث عنه في القرآن ، حتى كاد في سورة التوبة أن يكون كله عن المنافقين.

3- أن النفاق مرض يسير في خط متوازي مع الدولة الإسلامية قوة وضعفا .

4- أن التعامل مع المنافقين يحتاج إلى مزيد عناية ودقة ومراعاة لجوانب عديدة ترتبط بالمصالح العامة .

4-منهج البحث : -

اعتمد في الدراسة على المنهج الاستقرائي لكافة النصوص القرآنية التي وردت في سورة التوبة، والنصوص التي توضح ذلك أكثر، وتحليل وتفسير تلك النصوص من خلال ما ذكر العلماء فيها ، من مفسرين ومحدثين ولغويين.

وقد تحددت منهجية البحث على النحو التالية:

1- تتبع المصادر والمراجع التي تحدثت عن السورة التوبة، سواء كانت متعلقة بالسورة فقط، أم بالآيات المبينة للمعاني المنافقين والجهادية فيها، والوقوف على المعلومات المتعلقة بموضوع البحث فيها، والاعتماد بصورة أكثر على المصادر والمراجع المتعلقة بالقرآن الكريم .

2- دراسة وتحليل موضوع المنافقين والجهادية في سورة التوبة، وذلك وفق المنهج التحليلي للمعاني المنافقين والجهادية في كل آية من آيات سورة التوبة المتعلقة بالموضوع، وما يتعلق بها من آيات أخرى متصلة بنفس الموضوع.

3- استنباط النتائج والقيم والمعاني التي توصلت إليها، من خلال التتبع للمصادر، والاستنباط منها ودراستها وفق ما تكون فيه عبرة للمسلمين في كل أمور الجهاد، والتعامل مع المشركين وأهل الكتاب والمنافقين.

وفي الختام ، أسأل الله عز وجل أن يجعل هذا الجهد المتواضع خالصا لوجهه الكريم ، وأن أكون قد وفقت في تحقيق أغراض هذا البحث وأن ينفع به المسلمين .

5-الدراسات السابقة :-

بعد البحث تبين أن موضوع بحثي جديد على المكتبة الإسلامية في جنوب شرق آسيا ، وأن ما كُتِبَ حول الموضوع عبارة عن رسائل جامعية، ماجستير ودكتوراه منها:

1- المنافقون كما تحدثت عنهم سورة التوبة، للمؤلفة: لزينب عبد الرحمن الدخيل، ماجستير.

2- علاقة المسلمين بغيرهم كما جاءت في سورة التوبة. لعبد الله محمد الزعبي – ماجستير

3- تلخيص تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر للكواشي: من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف، لمحمد بن إبراهيم الشيبان – ماجستير.

4- مسائل العقيدة في سورة التوبة، للمؤلفة: لشريفة مصلح السنيدي – ماجستير.

5- موقف القرآن من خصومه كما تصوره سورة التوبة، لعمر أحمد علي عبد الرحمن – دكتوراه – 1972م جامعة الأزهر.

من خلال الدراسات السابقة لسورة التوبة تبين أن البعض قد تناول موضوع السورة بشكل عام ضمن دراسة قرآنية شاملة، أو تناول جزءا من موضوعات السورة، كالذي أخذ علاقات المسلمين بغيرهم، أو تناول معالم الجهاد في السورة، ومنهم من تناول الدراسة الاجتماعية فيها، وآخر تناول أحوال المنافقين في السورة .. وغيرها من الموضوعات، أما هذا البحث فيتناول فيه الباحث موضوعي النفاق والجهاد، محاولا استنباط ما هو جديد من موقف المنافقين من الجهاد ، في إطار دراسة موضوعية شاملة ومتكاملة لموضوعات السورة.

6-هيكل البحث : -

يتكون البحث من مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة : وفيها بيان مشكلة البحث ، وأهداف البحث ، وأهميته ، والمنهج المتبع في كتابة البحث ، والدراسات السابقة.

الفصل التمهيدي

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف العام بالسورة.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: عدد آيات السورة وأسماؤها.

المطلب الثاني: الجو العام للسورة.

المطلب الثالث: سبب عدم ابتداء السورة بالبسملة.

المطلب الرابع: أول ما نزل وآخر ما نزل من السورة.

المطلب الخامس: سبب ومكان نزول السورة.

المبحث الثاني: المناسبات في السورة.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى المناسبة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: فوائد معرفة المناسبة.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها "سورة الأنفال".

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما بعدها "سورة يونس".

المطلب الخامس: مناسبة أول السورة لآخرها.

المبحث الثالث : معلومات أولية عن التفسير الموضوعي .

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: التفسير الموضوعي لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني: أهمية التفسير الموضوعي .

المطلب الثالث: خصائص التفسير الموضوعي .

الفصل الأول : المنافقون من خلال السورة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: صفات المنافقين.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول : النفاق لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: أنواع النفاق.

ويشتمل على فرعين:

الفرع الأول: النفاق الاعتقادي.

الفرع الثاني: النفاق العملي.

المطلب الثالث: أصناف الناس من خلال السورة.

ويشتمل على أربعة فروع:

الفرع الأول: المشركون.

الفرع الثاني: أهل الكتاب.

الفرع الثالث: المؤمنون.

الفرع الرابع: المنافقون.

المطلب الرابع: صفات المنافقين من خلال السورة.

المبحث الثاني: خطورة المنافقين داخل المجتمع المسلم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: علاقة المنافقين بأهل الكتاب والمشركين

المطلب الثاني: صور من فضائح المنافقين وإرجافهم في خذلان المسلمين.

المطلب الثالث: الحلف عند المنافقين.

الفصل الثاني : الجهاد في سبيل الله من خلال سورة التوبة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الجهاد وأنواعه وحكمه.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الجهاد لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: أنواع الجهاد وحكمه.

ويشتمل على ثلاثة فروع:

الفرع الأول: أنواع الجهاد.

الفرع الثاني: حكم الجهاد في سبيل الله تعالى.

الفرع الثالث: الجهاد فريضة إلهية وسنة كونية.

المطلب لثالث: أهمية الجهاد وأهم فوائده من خلال سورة التوبة.

المبحث الثاني: الجهاد ضرورة أمنية وحاجة إسلامية.

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أوجه الشبه والاختلاف بين اليهود والنصارى.

المطلب الثاني: خطورة التشبه بأهل الكتاب، وتتبعهم.

المطلب الثالث: الجهاد ماض إلى قيام الساعة.

المطلب الرابع: النتائج السلبية لترك الجهاد في سبيل الله.

المطلب الخامس: نصر الله قائم بجهاد المخلصين.

المطلب السادس: عوامل النصر والأثر التربوي على المجاهدين.

ويشتمل على أربعة فروع :

الفرع الأول: عوامل النصر.

الفرع الثاني: الأثر التربوي على سلوك المسلم أثناء جهاده.

الفرع الثالث: الأخلاق التربوية أثناء المعركة.

الفرع الرابع: الآثار المترتبة على الخشية من الناس دون الخشية من الله تعالى.

الفصل الثالث: موقف المنافقين من الجهاد

ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث الأول: الاعتذار عن الجهاد بحجج واهية.

المبحث الثاني: الإرجاف والتثبيط وإثارة الفتنة.

المبحث الثالث: الخوف من الجهاد.

المبحث الرابع: التربص بالمؤمنين.

المطلب الخامس: الأثر التربوي على المؤمنين من خلال مواقف المنافقين.

المبحث السادس: الآثار والأخطار المحدقة بالمسلمين بسبب وجود المنافقين بينهم.

الفصل التمهيدي : بين يدي السورة.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف العام بالسورة.

المبحث الثاني: المناسبات في السورة.

المبحث الثالث: معلومات أولية عن التفسير الموضوعي .

المبحث الأول: التعريف العام بالسورة.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: عدد آيات السورة وأسماؤها.

المطلب الثاني: الجو العام للسورة.

المطلب الثالث: سبب عدم ابتداء السورة بالبسملة.

المطلب الرابع: أول ما نزل وآخر ما نزل من السورة.

المطلب الخامس: سبب ومكان نزول السورة.

المطلب الأول: عدد آيات السورة وأسماؤها.

أولا : عدد آيات السورة :

(إن عدد آيات سورة التوبة هي مائة وتسع وعشرون عند الكوفيين ومائة وثلاثون عند الباقين)[1]

(أما سبب الاختلاف في عدّ الآيات بين الكوفيين والباقين- الشامي و المكي و المدنيين والبصري- اختلافها ثلاث آيات :

1-وعدَّ البصري ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾[2] آية .

2-وعدَّ الشامي ﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[3] آية .

3-وعدَّ المكي والمدنيان ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾[4] آية) [5].

ثانيا : أسماؤها:

أشهر الأسماء للسورة التوبة وبراءة ، أما التوبة لتكرار الحديث فيها عن التوبة والتائبين ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ... ﴾ [6] وقوله تعالى ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ... ﴾ [7] وقوله تعالى : ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[8] الى غيرها من الآيات التي تكرر فيها الحديث عن التوبة والتائبين .

وأما براءة لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[9].

إن للسورة أسماء عديدة:

---

1 الألوسي، محمود أبو الفضل ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، د.ط،(بيروت: دار إحياء التراث العربي) ،40/10.

2 سورة التوبة ، من الآية : 3.

3 سورة التوبة ، من الآية : 39.

4 سورة التوبة ، من الآية : 70.

5 ابن الجوزي، **فنون الأفنان في علوم القرآن** ، تحقيق : د حسن ضياء الدين عتر،ط.1،(بيروت : دار البشائر الإسلامية،1408 هـ -1987 م) ، 285.

6 سورة التوبة ، من الآية : 3.

7 سورة التوبة ، من الآية :11.

8 سورة التوبة ، الآية :15.

9 سورة التوبة ، الآية :1.

ذكرها الإمام ابن الجوزي[1] رحمه الله في زاد المسير فقال:

(ولها تسعة أسماء : أحدها: سورة التوبة.

والثاني: براءة، وهذان مشهوران بين الناس .

والثالث: سورة العذاب، قاله حذيفة[2].

والرابع: المقشقشة، قاله ابن عمر[3].

والخامس: سورة البَحُوث، لأنها بحثت في سرائر المنافقين، قاله المقداد بن الأسود[4].

والسادس: الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس[5] .

والسابع: المبعثرة، لأنها بعثرت أخبار الناس، وكشفت عن سرائرهم، قاله الحارث بن يزيد[6].

والثامن: المثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة[7].

والتاسع: الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين)[8].

---

1 هو عبد الرحمن بن علي أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي الحنبلي صاحب التصانيف وأنواع العلوم الكثيرة ولد 508 أو 510هـ وكانت وفاته 654 هـ. انظر: الأدنروي ، أحمد بن محمد، **طبقات المفسرين** ،تحقيق: سليمان بن صالح الخزي،ط1، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ،1418هـ- 1997م)،208-209.

2 هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ﷺ حليف بني الأشهل وأمه كذلك، وأسلم هو وأبوه وهو أمين سر رسول الله ﷺ استعمله عمر على المدائن ومات بعد مقتل عثمان بأربعين يوما سنة 36هـ. انظر: العسقلاني ، أحمد بن حجر، **تهذيب التهذيب**، د.ط، (مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة)، 1 / 367 .

3 هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أسلم صغيرا وهاجر مع أبيه روى الكثير من الحديث وأفتى الناس ستين سنة مات سنة 73هـ وقيل 74هـ .انظر: العسقلاني، مرجع سابق، 2/ 389.

4 هو الصحابي المقداد بن عمرو بن ثعلبة البهرائي أبو سعيد المعروف بالمقداد بن الأسود أسلم قديما وشهد بدرا والمشاهد ، وكان فارسا وروى عن رسول الله ﷺ وروى عنه علي رضي الله عنه من أوائل من أظهر إسلامه مات 33هـ. انظر: العسقلاني، مرجع سابق،4 /146.

5 هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول ومن أصحابه الحبر والبحر في التفسير وكان ترجمان القرآن وتوفي في الطائف سنة ثمان وستين وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات باني العلم وقد كف بصره في أواخر عمره .انظر: الأدنروي ، مرجع سابق،3.

6 هو الحارث بن يزيد العكلي التيمي (التميمي) ، روى عن النخعي والشعبي وأبي زرعة وروى عنه ابن شبرمة وابن عجلان وابن القعقاع وهو من أقرانه، وروى له البخاري ، وهو فقيه ثقة .انظر: العسقلاني ،مرجع سابق، 341/1.

7 هو قتادة بن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسي روى عن كثير من الصحابة ثقة ثبت مفسر ولد 61 ومات 117هـ . انظر: العسقلاني، مرجع سابق، 3 /428.

8 عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**،ط3،(بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ)389/3.

وزاد الإمام السيوطي[1] رحمه الله في الإتقان فقال: (والمُنَقِّرَة نقرت عما في قلوب المشركين، وزاد: المخزية والمنكلة والمشردة والمدمدمة)[2].

وقال الأستاذ ابن عاشور[3]رحمه الله : في تفسيره: (أن لها أربعة عشر اسما هي : سورة التوبة ، براءة ، المقشقشة ، الفاضحة ، العذاب ، المنقرة ، البحوث ، الحافرة ، المثيرة ، المبعثرة ، المخزية ، المنكلة ، المشددة ، المدمدمة . وإليك سبب تسميتها:

1- براءة : سميت هذه السورة، في أكثر المصاحف، وفي كلام السلف: سورة براءة ففي الصحيح عن أبي هريرة[4]، في قصة حج أبي بكر[5] بالناس، قال أبو هريرة: " فأذن معنا علي بن أبي طالب[6] في أهل منى ببراءة"[7] .

1 هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين أبي بكر بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب ابن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين همام الخضيري الأسيوطي العلامة المشهور في الآفاق وفضائله وتصنيفاته مذكور في محاضراته، ولد في سنة تسع وأربعين وثمانمائة وتوفي في سنة إحدى عشرة وتسعمائة.انظر: الأدنروي ،**طبقات المفسرين** ،تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط1،(المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ،1418هـ- 1997م)،ص365-366.

2 عبد الرحمن بن الكمال، **الإتقان في علوم القرآن**،د.ط، (القاهرة :دار الحديث)،1/152-153.

3 هو محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور: أديب خطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابهين، في تونس، مولده ووفاته بها، تخرج بالمعهد الزيتوني وأصبح أستاذا فيه فعميدا، وشغل خطة القضاء بتونس ثم منصب مفتي الجمهورية. انظر: الزركلي، **الأعلام**،ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،6/325.

4 هو أبو هريرة كان اسمه عبد الله أو عبد الرحمن بن صخر الدوسي كان أهل ورع وزهد وشديد التحري في جميع الأمور وكثير الاحتياط كان عالما بالقرآن ومعانيه توفي بمكة سنة سبع وخمسين. انظر: الأدنروي، مرجع سابق ،6.

5 هو عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي، ويكنى بأبي بكر، وهي من البكر وهو الفتى من الإبل، وقد لقب بالصديق لكثرة تصديقه للنبي، أقام رضي الله عنه في الخلافة سنتين وأربعة أشهر. ثم توفي لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشر، والصحيح أنه عاش ثلاثًا وستين سنة، وهو قول الأكثرين. انظر: د/علي محمد الصلابي ، **ابو بكر الصديق ﷺ شخصيته وعصره** ،1/3-2.

6 هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي بن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأولين ورجح جمع أنه أول من أسلم وهو أحد العشرة مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون على الأرجح. انظر: ابن حجر العسقلاني ، **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة ،د.ط،(سوريا: دار الرشيد، 1406هـ - 1986 م)،1/402.

7 **صحيح البخاري** ،كتاب الجمعة ، باب سورة براءة ، 6/64، رقم الحديث 4655.

وفي صحيح البخاري[1]، (عن البراء [2]رضي الله عنه قال : آخر سورة نزلت كاملة براءة)[3].

2- التوبة : أنها وردت فيها توبة الله تعالى عن الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهو حدث عظيم ، فعن ابن عباس سورة التوبة هي الفاضحة ، وترجم لها الترمذي[4] في جامعه باسم التوبة.

ووقع هذان الاسمان معا في (حديث زيد بن ثابت[5]، حدثه قال: أرسل إلي أبو بكر فتتبعت القرآن حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري[6] ، لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾[7] ، حتى خاتمة براءة)[8] . وهذان الاسمان هما الموجودان في المصاحف التي رأيناها.

---

1 هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري، الجعفي (أبو عبد الله) محدث حافظ، فقيه، مؤرخ، مشارك في علوم. ولد 13 ليلة خلت من شوال، ورحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الامصار، وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها وبالحجاز والشام ومصر، وتوفي ليلة عيد الفطر، ودفن بخرتنك . انظر: كحالة ، عمر بن رضا ، **معجم المؤلفين** ،د.ط، (بيروت :مكتبة المثنى ، دار إحياء التراث العربي)،9/52-53.

2 هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي صحابي بن صحابي نزل الكوفة استصغر يوم بدر وكان هو وابن عمر لدة مات سنة اثنتين وسبعين.انظر: العسقلاني ، **تقريب التهذيب** ،تحقيق: محمد عوامة ،د.ط،(سوريا: دار الرشيد، 1406هـ - 1986 م)،1/121.

3 **صحيح البخاري** ،كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس في سنة تسع ، 5/167، رقم الحديث 4364.

4 هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، الحافظ، العلم، الامام، البارع، ابن عيسى السلمي الترمذي الضرير، مصنف الجامع ، وكتاب العلل ، وغير ذلك. مات أبو عيسى في ثالث عشر رجب، سنة تسع وسبعين ومئتين بترمذ ، انظر: الذَهَبي ، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط،د.ط،(الناشر: مؤسسة الرسالة)،13/270.

5 هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد أبو خارجة الأنصاري الخزرجي المقرئ الفرضي كاتب رسول الله ﷺكان عالما بالقرآن ومعانيه وكانت وفاته في سنة ثمان وأربعين. انظر: الأدنروي، **طبقات المفسرين** ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط1 ،(المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم)، 1/6.

6 هو أبوخزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ثم النجاري، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، توفي أبو خزيمة في خلافة عثمان رضي الله عنه . وهو أخو مسعود بن أوس أبي محمد، انظر : ابن الأثير، **أسد الغابة**، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي،ط1،(بيروت: دار إحياء التراث العربي)،2/164.

7 سورة التوبة، من الآية:128

8 **صحيح البخاري** ،كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء ، 9/125، رقم الحديث 7425.

3- المقشقشة : لهذه السورة أسماء أخر، وقعت في كلام السلف، من الصحابة والتابعين، (وأخرج أبو الشيخ[1] وابن مردويه[2]عن زيد بن أسلم[3]رضي الله عنه، أن رجلا قال لعبد الله: سورة التوبة؟ فقال ابن عمر رضي الله عنه: وأيتهن سورة التوبة؟ فقال: براءة. فقال ابن عمر: وهل فعل بالناس الأفاعيل إلا هي، ما كنا ندعوها إلا المقشقشة). [4] كان هذا لقبا لها ولسورة (الكافرون) لأنهما تخلصان من آمن بما فيهما من النفاق والشرك، لما فيهما من الدعاء إلى الإخلاص، ولما فيهما من وصف أحوال المنافقين.

4- الفاضحة : أخرج أبو عبيد[5] وابن المنذر[6] وأبو الشيخ وابن مردويه عن (سعيد بن جبير[7] جبير[7] رضي الله عنه قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: " سورة التوبة؟ قال: التوبة، بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لن يبقى منا أحد إلا ذكر فيها)[8]وأحسب أن ما تحكيه من أحوال المنافقين يعرف به المتصفون بها أنهم المراد، فعرف المؤمنون كثيرا من أولئك مثل قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي...﴾[9] فقد قالها بعضهم وسمعت منهم، وقوله ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ

---

1 هو أبو الشيخ الامام الحافظ الصادق، محدث أصبهان، أبو محمد، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، المعروف بأبي الشيخ، صاحب التصانيف، قال أبو نعيم: توفي في سلخ المحرم سنة تسع وستين وثلاث مئة. انظر: الذَهَبي ، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط،د.ط، (الناشر: مؤسسة الرسالة)،16/276-279.

2 هو الحافظ المجود العلامة، محدث أصبهان، أبو بكر، أحمد بن موسى ابن مردويه بن فورك بن موسى بن جعفر، الاصبهاني، صاحب التفسير الكبير ، و التاريخ ، مات لست بقين من رمضان سنة عشر وأربع مئة عن سبع وثمانين سنة. انظر: **الذهبي**، مرجع سابق،17/308.

3 هو الامام الحجة القدوة أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه، كان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفاته في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومئة. انظر: **الذهبي**، مرجع سابق،5/316.

4 الألوسي ، **روح المعاني** ،د. ط ،(بيروت: دار إحياء التراث العربي)،10/40.

5 أبو عبيد هو الامام الحافظ المجتهد ذو الفنون، أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله، قال البخاري وغيره: مات سنة أربع وعشرين ومئتين بمكة. انظر: **الذَهَبي**، مرجع سابق ،10/508.

6 هو الامام الحافظ العلامة، شيخ الاسلام، أبو بكر، محمد بن إبراهيم ابن المنذر النيسابوري الفقيه، نزيل مكة، وصاحب التصانيف ك الاشراف في اختلاف العلماء ، وكتاب: الاجماع ، وكتاب: المبسوط ، وغير ذلك، وفاته في سنة ثماني عشرة. انظر: **الذَهَبي** ، مرجع سابق ،14/490.

7 هو سعيد بن جبير الأسدي الفقيه المحدث المفسر وكان أحد علماء التابعين أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وكان أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب وبالحج عطاء وبالحلال والحرام طاووس وبالتفسير مجاهد وأجمعهم لذلك سعيد بن جبير توفي سنة خمس وتسعين.انظر: الأدنروي، **طبقات المفسرين** ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ،ط1،(المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم)، 1/10.

8 **صحيح مسلم**، كتاب التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر، 4/2322، رقم الحديث 3031.

9 سورة التوبة، من الآية:49.

يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ... ﴾[1] فهؤلاء نقلت مقالتهم بين المسلمين. وقوله ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ...﴾[2] .

5- العذاب : أخرج ابن أبي شيبة[3] والطبراني[4] في الأوسط وأبو الشيخ والحاكم[5] وابن مردويه مردويه (عن حذيفة رضي الله عنه قال: التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب، والله ما تركت أحدا إلا نالت منه، ولا تقرأون منها مما كنا نقرأ إلا ربعها)[6].لأنها نزلت بعذاب الكفار، أي عذاب القتل والأخذ حين يثقفون.

6- المنقرة : عن عبيد بن عمير[7] أنه سماها المنقرة بكسر القاف مشددة لأنها نقرت عما في قلوب قلوب المشركين، لعله يعني من نوايا الغدر بالمسلمين والتمالي على نقض العهد وهو من نقر الطائر إذا أنفى بمنقاره موضعا من الحصى ونحوه ليبيض فيه .

7- البحوث : أخرج الحاكم عن المقداد أنه قيل له:(لو قعدت العام عن الغزو قال: أتت علينا البحوث - بفتح الباء - : يعني سورة التوبة)[8] .

---

1 سورة التوبة، من الآية:61.

2 سورة التوبة، من الآية:42.

3 هو الشيخ عبد الله بن محمد الكوفي المعروف بابن أبي شيبة، وهو الإمام العالم الفاضل الحافظ صنف التفسير كان يعرف بتفسير ابن أبي شيبة، وتوفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة. انظر: الأدنروي، **طبقات المفسرين** ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط1،(المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم)، 71/1.

4 هو الامام، الحافظ، الثقة، الرحال الجوال، محدث الاسلام، علم المعمرين، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، صاحب صاحب المعاجم الثلاثة، مولده بمدينة عكا في شهر صفر سنة ستين ومئتين، توفي الطبراني لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلاث مئة بأصبهان. انظر: الذَهَبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط،د.ط،(الناشر: مؤسسة الرسالة)،119/16.

5 هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع صاحب المستدرك وغيره من الكتب المشهورة ولد في ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، توفي فجأة بعد خروجه من الحمام في صفر سنة خمس وأربعمائة. انظر: ابن قاضى شهبة، أبو بكر بن أحمد، **طبقات الشافعية**، تحقيق : د/ الحافظ عبد العليم خان ط1،(بيروت: عالم الكتب، 1407 ه)، 193/1-194.

6 الطبراني ، **المعجم الأوسط** ،تحقيق : طارق بن عوض الله، د .ط ،(القاهرة : دار الحرمين ، 1415ه)،85/2.

7 هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي: روى عن عمر وأبي ذر وعلي وعائشة وعدة: وعنه عطاء وابن أبي مليكة وعمرو بن دينار وأبو الزبير وعبد وعبد العزيز بن رفيع وطائفة، وكان عالما واعظا كبير القدر مات مع بن عمر، بل قبله سنة أربع وسبعين رحمه الله تعالى. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **تذكرة الحفاظ**، تحقيق: زكريا عميرات، ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1419ه- 1998م)،41/1.

8 **السنن الكبرى** ،كتاب السير : باب أصل فرض الجهاد ،36/9، رقم الحديث 17800.

8- الحافرة : دعاها الحافرة كأنها حفرت عما في قلوب المنافقين من النفاق، فأظهرته للمسلمين.

9- المثيرة : تسمى المثيرة لأنها أثارت عورات المنافقين وأظهرتها.

10- المبعثرة : سماها المبعثرة لأنها بعثرت عن أسرار المنافقين، أي أخرجتها من مكانها .

11- المخزية :أنها تسمى المخزية بالخاء والزاي المعجمة وتحتية بعد الزاي وأحسب أن ذلك لقوله تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾[1]

12- المنكلة – بتشديد الكاف – : أنها تسمى المنكلة، أي بتشديد الكاف.

13- المشددة : أنها تسمى المشددة.

14- المدمدمة :أنها تسمى المدمدمة بصيغة اسم الفاعل من دمدم إذا أهلك لأنها كانت سبب هلاك المشركين، فهذه أربعة عشر اسما لهذه السورة العظيمة) [2].

والخلاصة أن عدد أسماء السورة التوبة أربعة عشر اسما، وهذا ما ذهب اليه الزمخشري[3] وبعض المفسرين، وليس في السور أكثر أسماء منها.

---

1 سورة التوبة، من الآية:2.

2 ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير** ،د.ط،(تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 م)،10/95-97، بتصرف.

3 هو محمد بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب ، ولد في زمخشر وكانت وفاته سنة 538هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**،ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،178/7.

المطلب الثاني: الجو العام للسورة.

لقد كان استعداد المسلمين في وضح النهار، لغزو الروم وسط أراجيف المنافقين، لوضع حد لبقايا الوثنية في نفوس البعض ولقوله ﷺ (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)[1]، لذا كان افتتاح السورة بإعلان يبث روح القوة في نفوس المؤمنين، ويقذف الرعب والوهن والخوف في قلوب المشركين والمنافقين، وليتم تحديد العلاقة معهم، مع إعطائهم فرصة الأمان، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾[2]

لو نظرت الى السورة نجدها مقسمة إلى ستة مقاطع:

المقطع الاول: من الآية الأولى إلى الآية الثامنة والعشرين، وهذه كلها تعلن الحرب على مشركي الجزيرة العربية، قطع العهود، إنهاء المواثيق، فرض مدة ينتهي بعدها أي سلام أربعة أشهر، مبررات قتال هؤلاء المشركين قطع الأواصر، لأن المجتمع المسلم كان في ذلك الوقت لا زالت هنالك بعض الوشائج عند ضعاف الإيمان بينهم وبين المشركين فقطعها.

أما المقطع الثاني: فإنه يتضمن (تحديد العلاقة مع أهل الكتاب، وبيان سبب ذلك خطورة اعتقادهم التاريخي والواقعي، ومدى انحرافهم عن دينهم، ومحاولين بشتى الوسائل طمس دين الله الذي ارتضاه للناس)[3] ، وبيان خطورة التشبه بأهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4] .

---

1 **صحيح البخاري** ،كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ، 9/6، رقم الحديث 4431.

2 سورة التوبة، الآية:6.

3 سيد قطب، سيد قطب إبراهيم، **في ظلال القرآن**،د.ط، (القاهرة: دار الشروق)،1566/3.

4 سورة التوبة، الآية 34.

يقول أبو السعود[1]رحمه الله : (بيان سوء حال الأتباع في اتخاذهم لهم أربابا يطيعونهم في الأوامر والنواهي وأتباعهم لهم فيما يأتون وما يذرون)[2] ، ثم يقول معقباً: (فيكون نظمهم في قرن المرتشين من أهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم أسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم)[3].

المقطع الثالث: تهديد ووعيد وتأنيب وتبكيت للذين يقعدون عن الجهاد، قال الله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ... ﴾[4] فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمن كمثل الزرع، لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء. ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد)[5]

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق)[6].

المقطع الرابع: وهو نصف السورة تقريبا كشف صفات المنافقين هم الأخطر على الأمة، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ...﴾[7] ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ...﴾[8] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا وَلَا تَفْتِنِّي...﴾[9] ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا...﴾[10] إلى آخره، هذا نصف السورة تقريبا ، سميت سميت البحوث، لأنها: بحثت عن عيوب المنافقين، قال ابن عباس: ما زالت آيات التوبة تنزل وتقول ومنهم

---

1 هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي المولود 893هـ جمع بين العلم والأدب وطارت بسمعته الفضاء وتولى أمر الفتوى والقضاء، توفى رحمه الله بمدينة القسطنطينية، ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري، وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة 982 هـ .انظر: الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**،ط7،(مكتبة وهبة، 2000م)،245/1-246.

2 أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**،د.ط،(بيروت: دار إحياء التراث العربي)،62/4.

3 المرجع السابق، 62/4.

4 سورة التوبة، من الآية: 38.

5 **صحيح مسلم**، كتاب صفات المنافقين، باب مثل المؤمن كالزرع، 2163/4، رقم الحديث 2809.

6 **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو، 3 /1517، رقم الحديث 1910. وسنن أبي داود ،كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، ص/400، رقم الحديث 2502. (صححه الألباني)

7 سورة التوبة، من الآية: 75.

8 سورة التوبة، من الآية: 61.

9 سورة التوبة، من الآية: 49.

10سورة التوبة، من الآية: 107.

ومنهم حتى قلنا لا تدع أحدا، بينت نهائيا صفاتهم ومؤامراتهم، تخللهم في داخل المجتمع المسلم، بث الأراجيف، الفساد، تثبيط المسلمين عن الجهاد، هذه صفات المنافقين في ذلك الوقت.

والمقطع الخامس: تصنيف المجتمع المسلم، طبقاته الإيمانية، وطبقات المجتمع المسلم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، المنافقون ضعاف الايمان الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، قال الله تعالى : ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ...﴾[1].

المقطع الأخير: يبين حقيقة الصفقة وأهمية البيعة مع الله، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ...﴾[2] ، يقول الأستاذ سيد قطب[3]رحمه الله : (يكشف عن حقيقة العلاقة التي تربط المؤمنين بالله، وعن حقيقة البيع، فمن بايع ووفَّى بما بايع فهو المؤمن الحق الذي تتمثل فيه حقيقة الإيمان)[4]، وخاصة عندما رسَّخ لعقيدة الولاء والبراء، بالنهي عن الاستغفار للمشركين، وأن استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه، كان بعلم الله تعالى، فلما تبين لإبراهيم كفر أبيه تبرأ منه.

ليكون جو العام للسورة بين البراءة والتحذير والوعيد والإمهال والقتل والقتال والجهاد، يتخلل ذلك جو من الرحمة والتودد والسكينة والأمان والطمأنينة الناتجة عن توبة الله تعالى على النبي ﷺ والذين آمنوا لإتمام فضله وبيان سرُّ رحمته، وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا، بل إن توبته جل في علاه سبقت توبتهم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[5]. ليكون جو السورة بين البراءة والتوبة والجهاد في سبيل الله تعالى.

---

1 سورة التوبة، من الآية:106.

2 سورة التوبة، من الآية:111.

3 هو سيد قطب إبراهيم الشاذلي ولد سنة 1906م حفظ القرآن صغيرا، نشط في مجال الأدب والسياسة، انتسب إلى الإخوان المسلمين 1953، أكمل الظلال وهو في السجن أعدم سنة 1966م، انظر : صلاح الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد** ،ط2،(بيروت: دار الشامة،1414هـ - 1994م)، 15-17.

4 **في ظلال القرآن**، د.ط، (القاهرة: دار الشروق)،1716/3.

5 سورة التوبة، من الآية:118.

المطلب الثالث: سبب عدم ابتداء السورة بالبسملة.

المتتبع للسور القرآنية يجد أنها قد افتتحت بعد البسملة، إما بحمد الله تعالى أو تسبيحه، أو بالحروف المقطعة يتبعها تعظيم الله تعالى أو بيان عظمة آياته، أو بيان وجه من وجوه الإعجاز، أو بنداء الملاطفة، أو قَسم أو خبر للتذكير أو التنبيه أو الإخبار عن شيء أو غير ذلك، بخلاف سورة التوبة، التي لم تنزل بالبسملة، ولم تبدأ بما بدأت به غيرها وذلك للأسباب التالية:

أولا: سبب توقيفي، فعن يزيد الفارسي[1] قال: سمعت ابن عباس قال: لعثمان بن عفان[2]: ما حملكم أن عمدتم إلى براءة وهي من المئين، وإلى الأنفال وهي من المثاني، فجعلتموها في السبع الطوال ولم تكتبوا بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم" قال عثمان: كان النبي ﷺ مما تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من كان يكتب له ويقول له: "ضع هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"، وتنزل عليه الآية والآيتان فيقول مثل ذلك، وكانت الأنفال من أول ما نزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها. فمن هناك وضعتهما في السبع الطوال، ولم أكتب بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم"[3].

ثانيا: (كان من شأن العرب في زمانها في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد فإذا أرادوا نقضه كتبوا إليهم كتابا ولم يكتبوا فيه بسملة فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي صلى الله

---

1 هو يزيد بن هرمز الفارسي، وكان أمير الموالي يوم الحرة، وكان ثقة ان شاء الله. الزهري، محمد بن سعد بن منيع، **الطبقات الكبير**، تحقيق : دكتور علي محمد عمر،ط1،(القاهرة: مكتبة الخانجي،1421هـ - 2001م)،219/9.

2 هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، من قريش: أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، ولد بمكة، وأسلم بعد البعثة بقليل. وكان غنيا شريفا في الجاهلية، فقتلوه صبيحة عيد الاضحى وهو يقرأ القرآن في بيته بالمدينة. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،210/4.

3 **سنن الترمذي**، كتاب تفسير القرآن، باب سورة التوبة، 272/5، رقم الحديث 3086، قال عنه الترمذي: حسن صحيح برواية يزيد الفارسي وبرواية يزيد الرقاشي ضعيف لأنه لم يلتقي ابن عباس.

عليه وسلم والمشركين بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فقرأها عليهم في الموسم ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة)[1].

ثالثا: (ونقل عن قتادة، قوله: هما سورة واحدة)[2]، (فهي سورة مستقلة عن الأنفال، وترك التسمية في هذه السورة لا مدخل لرأي أحد فيه، وإنما هو الوحي، وليس المقصود ههنا إلا إظهار صفة القهر الناتجة عن الوعيد والتهديد والعذاب، وهذا لا يتناسب مع آية الرحمة "البسملة")[3].

رابعا: قال عبدالله بن عباس : (سألت علي بن أبي طالب لم يكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان، ولذلك لم يجمع بينهما فإن بسم الله الرحمن الرحيم رحمة وبراءة نزلت سخطة)[4]، قطع الله بهم كل مرصد، ولم يفصلهم عن شرهم، لأنهم حصنوا به أنفسهم، فانطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[5] ،فلا يستحقون رحمة، إلا أن يتوب الله عليهم برحمة منه وفضل، فيعودوا ويستغفروا ويتوبوا.

(والصحيح أن التسمية لم تكتب لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها في هذه السورة) [6].

والخلاصة بعدم البسملة في سورة التوبة، لأنها سورة ذكر فيها الجهاد وقتال الكفار وذكر فيها وعيد المنافقين، لأن البسملة رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين فلا يستحقون رحمة ولا أمان من الله عز وجل.

---

1 القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، د.ط،(الرياض: دار عالم الكتب،1423هـ - 2003م)61/8.

2 ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**،ط3،(بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ)390/3.

3 مصطفى المنصوري، مصطفى الحصن المنصوري ، **المقتطف من عيون التفسير**، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط2،(بيروت: الدار الشامية،1417هـ-1996م)361/2، باختصار.

4 القرطبي، مرجع سابق،62/8.

5 سورة الأعراف، الآية: 146.

6 القرطبي، مرجع سابق، 63/8.

المطلب الرابع: أول ما نزل وآخر ما نزل من السورة.

تعدد أقوال العلماء في أول ما نزل من براءة، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أول ما نزل منها قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ..﴾ [1] ، قاله ابن جريج[2]،عن مجاهد[3].

والثاني: قوله:﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا...﴾ [4] ، قاله أبو الضحى[5]، وأبو مالك[6].

والثالث: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ...﴾ [7] ، قاله مقاتل[8]، وإنما الخلاف كما ذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله الله في تفسير زاد المسير، (إنما هو في أول ما نزل منها بالمدينة، فإنهم قد قالوا: نزلت الآيتان اللتان في آخرها بمكة، ولذا فهي مدنية بالإجماع سوى الآيتين اللتين في آخرهما:﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُم﴾ [9])[10].

---

1 سورة التوبة، من الآية:25.

2 هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي أصله رومي، مات سنة 213هـ . انظر: العسقلاني، **تهذيب التهذيب**،د.ط، (مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة)، 1 / 616 .

3 هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب المخزومي المكي، توفي سنة ثلاث ومائة. انظر: الأدنروي، **طبقات المفسرين** ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ،ط1،(المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم)، 11.

4 سورة التوبة، من الآية:41.

5 هو مسلم بن صبيح مولى لآل سعيد بن العاص القرشي يروى عن بن عمر وابن العباس والنعمان بن بشير عداده في أهل الكوفة روى عنه منصور والأعمش والناس مات سنة مائة في خلافة عمر بن عبد العزيز. انظر: ابن حبان، محمد بن حبان، **الثقات**، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد،ط1(دار الفكر، 1395 هـ - 1975م)5/391.

6 هو سعد بن طارق بن أشيم الأشجعي أبو مالك الكوفي وثقه الكثير من أهل الحديث، مات سنة 140هـ. انظر: العسقلاني، مرجع سابق، 1 / 693 .

7 سورة التوبة، من الآية:40.

8 هو مقاتل بن حيان النبطي أبو بسطام البلخي الخراز مولى بكر بن وائل، مات قبل الخمسين ومائة تقريبا.انظر: العسقلاني، مرجع سابق، 4 / 142-143 . .

9 سورة التوبة، من الآية:128.

10 **زاد المسير في علم التفسير**،ط3،(بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ)3/388-389.

لذا فسورة التوبة من آخر السور القرآنية نزولا، كما ذكر البخاري في صحيحه عن أبي إسحاق[1] عن البراء رضي الله عنه قال آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر سورة نزلت خاتمة سورة النساء﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ [2]،[3].

وآخر سورة نزلت براءة،(وروي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها سورة المائدة)[4]، وفي رواية ثالثة أنها سورة النصر، وأولى هذه الأقوال بالقبول كما ذكر فضيلة الدكتور فضل حسن عباس[5] رحمه الله : : (أن آخر سورة تامة هي سورة النصر، وأن سورة التوبة فقد نزل أكثرها في غزوة تبوك، وكانت في السنة التاسعة من الهجرة، وسيدنا رسول الله ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى في بداية السنة الحادية عشرة)[6].

وبالتالي فإن نزول السورة قبل غزوة تبوك وخلالها وبعدها يبين أموراً جساما وهامة لا بد من التطرق إليها:

أولا: الخوف الذي ساور المسلمين من أخبار تترامى إليهم باستعداد الروم لمعركة حاسمة ضدهم، فلا يسمعون صوتا غير معتاد إلا ويظنونه زحف الروم عليهم، يقول عمر بن الخطاب[7] ﷺ (وكان لي من صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت آتيه أنا بالخبر ونحن نتخوف ملكا من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب، فقال:

---

1 هو أحمد بن إسحاق بن الحصين بن جابر السلمي أبو إسحاق السرماري، مات يوم السبت لست بقين من ربيع الآخر سنة 242. انظر: العسقلاني، **تهذيب التهذيب**،د.ط،(مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة)، 1 / 15 .

2 سورة النساء، الآية:176.

3 **صحيح البخاري** ،كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس في سنة تسع ، 167/5، رقم الحديث 4364.

4 الطحاوي، أحمد بن محمد، **شرح مشكل الآثار**، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ،ط1،(مؤسسة الرسالة، 1494 م)،304/6.

5 أبو محمد فضل حسن عباس، أحد أبرز علماء السنة في الأردن وأحد العلماء المعدودين في علوم التفسير وعلوم اللغة والبلاغة، برز الدكتور فضل عباس كأحد كأحد أهم علماء التفسير والتلاوة وكان ذلك في السبعينات حين سجلت له الإذاعة الأردنية 400 حلقة إذاعية في تلاوة وتفسير القرآن الكريم كاملاً، ولد فضل حسن عباس سنة 1932م في بلدة صفورية في فلسطين، توفي يوم 6 ربيع الأول من عام 1432 هـ الموافق 9 شباط سنة 2011م عن عمر يناهز 79 سنة. انظر: http://ar.wikipedia.org/wiki/فضل_عباس، بتصرف.

6 **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ط1،(عمان: دار الفرقان، 1997م)1،/185،بتصرف.

7 هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، ابو حفصة، أمير المؤمنين ، ولى الخلافة عشر سنين وخمسة أشهر، وقتل يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة 23وهو ابن ثلاث وستين سنة، ودفن مع رسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها. انظر: **العسقلاني**، مرجع سابق ، 3 / 221-223 .

افتح، افتح، فقلت: جاء الغساني؟ فقال بل أشد من ذلك اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه..)[1]. يبين هذا خطورة الموقف الذي يعيشه المسلمون. حيث ظن عمر رضي الله عنه أن الخبر الذي جاء به صاحبه، هو خطر الغساني، الذي شغل فكرهم بسبب تحالفهم مع الروم.

ثانيا: (كان المنافقون يتربصون بالمؤمنين الدوائر، بعد أن رأوا نجم رسول الله ﷺ يسطع في كل الميادين، دون عوائق تذكر، فطفق هؤلاء يأملون في تحقيق حقدهم المكنون في صدورهم، من خلال غزو الروم المتوقع للمسلمين، فاستمروا في مؤامراتهم المتمثلة ببناء مسجد الضرار الذي بنوه ريبة وكفرا وتفريقا بين المؤمنين، فطلبوا من رسول الله ﷺ أن يصلي فيه، سعيا لخداع المؤمنين، في محاولتهم إخفاء مراميهم ودسائسهم، بعد أن ظنوا قرب تحقق آمالهم، فيما لو نجح الروم في غزوهم، لكن النبي الكريم ﷺ أخر الصلاة فيه . إلى قفوله من الغزوة . لشغله بالجهاز، فتأجل افتتاحه حتى يعود، وفي الطريق نزل قرآن يفضحهم، حتى أمر الرسول ﷺ بهدم المسجد بعد القفول من الغزو بدل أن يصلي فيه)[2].

ثالثا: (تناهى إلى مسامع المسلمين أن مقدمة جيش الروم بلغت البلقاء بعد أن هيأ هرقل جيشا عرمرما قوامه أربعون ألف مقاتل بقيادة أحد عظمائهم، ومعهم بعض متنصرة العرب من لخم وجذام وغيرهما)[3].

(ليدرك الجميع خطورة المرحلة، وأن المقام في الدنيا إنما هو عبورٌ للآخرة، فنزل جزء من السورة تستحث المؤمنين على الجهاد، وترغب فيه وفي إنفاق الصدقات، فتسابق المؤمنون لامتثال أمر الله تعالى، ولنداء رسول الله ﷺ ، فما تخلف منهم أحد، إلا من كان في قلبه مرض، والثلاثة الذين خلفوا، وأصحاب الفاقة الذين لا يجدون ما ينفقون، لقد كانت الجاهلية تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد غزوة حنين، وأصحاب القلوب المريضة يرجفون في المدينة، وخاصة أن أخبار الروم بدأت تزحف نحو المسلمين، والحال جدا صعب، فلا بد من أن يأخذ القائد الأعلى ﷺ قراره الحاسم في التصدي لكل ذلك، ليقضي على ما تبقى

---

1 **صحيح البخاري** ،كتاب التفسير ، باب تبتغي مرضاة أزواجك ، 156/6، رقم الحديث 4913.

2 المباركفوري ، صفي الرحمن ،**الرحيق المختوم**،د.ط، (قطر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية،1428هـ - 3007م) 430-431،باختصار.

3 المرجع السابق ، 431، بتصرف.

من جاهلية في نفوس أهلها، ويقطع دابر المجرمين، ويلجم المنافقين، ويشحذ همم المؤمنين بتقوية عزائمهم، في مواجهة تحالف الثالوث: (المنافقون واليهود والصليبيون)، حيث كانوا يخططون لاستباحة بيضة المسلمين، ووأد خضرائهم، وإضاعة هيبتهم ومكانتهم)[1].

1 المباركفوري ، **الرحيق المختوم**،د.ط،(قطر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية،1428هـ - 3007م) ، 432، بتصرف.

المطلب الخامس: سبب ومكان نزول السورة.

ذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله في سبب نزولها: (أخذت العرب تنقض عهودا بنتها مع رسول الله ﷺ فأمره الله تعالى بإلقاء عهودهم إليهم، فأنزل- براءة- في سنة تسع، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميرًا على الموسم ليقيم للناس الحج في تلك السنة، وبعث معه صدراً من- براءة- ليقرأها على أهل الموسم، فلما سار دعا رسول الله ﷺ عليًا، فقال: اخرج بهذه القصة من صدر- براءة- وأذن في الناس بذلك فخرج عليٌّ على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر، فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله، أنزل في شأني شيء؟ قال: لا، ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني، أما ترضى أنك كنت صاحبي في الغار، وأنك صاحبي على الحوض؟ قال: بلى يا رسول الله، فسار أبو بكر أميرا على الحج، وسار علي ليؤذِّن ببراءة)[1].

السورة مدنية باتفاق. (وذكر الإمام السيوطي رحمه الله أنها مدنية)[2]،

(ومنها ما نزل في تبوك، ومنها ما نزل في طريق عودته ﷺ، وقيل غير ذلك، منها: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ...﴾[3]، نزلت في بعض أسفاره، ومنها: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾[4]، نزلت في غزوة تبوك، ومنها: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ...﴾[5] ، نزلت في غزوة تبوك، ومنها قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ...﴾[6]، نزلت لما خرج معتمرا، هبط من ثنية عسفان)[7].

---

1 **زاد المسير في علم التفسير**،ط3،(بيروت: المكتب الإسلامي، 1404ه)3/390-391.

2 عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، ، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية،د.ط،(مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف)1/50، بتصرف.

3 سورة التوبة، من الآية:34.

4 سورة التوبة، من الآية:32.

5 سورة التوبة، من الآية:65.

6 سورة التوبة، من الآية:113.

7 السيوطي، مرجع سابق،1/ 126-127.

أسباب نزول بعض آيات البراءة منها:

(عن النعمان بن بشير[1] ﷺ قال كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما بالي لا أعمل لله عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما بالي أن أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أَعْمُرَ المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل. فزجرهم عمر. وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيه فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...﴾[2]إلى آخرها)[3].

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[4]، سبب نزول الآية، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم قسما قسما إذ جاءه ذو الخويصرة، فقال اعدل، فقال: (ويلك من يعدل إن لم أعدل) [5].

وفي سبب نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[6] ، فعن أبي مسعود[7] قال: لما نزلت آية آية الصدقة، كنا نُحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرائي، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزل:﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ...الآية﴾[8]،[9].

يبين هذا التصرف القبيح من المنافقين، أن وقت نزول هذه الآيات كان قبل الغزوة، نظرا لأن صدقات المؤمنين كانت قبل غزوة تبوك استعدادا للجهاد والغزو.

---

1 هو الصحابي الجليل النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي خاله عبد الله بن رواحة ولد 2هـ وهو أول مولود من الأنصار قتل سنة 65 وقيل 66هـ . انظر: العسقلاني، **تهذيب التهذيب**،د.ط،(مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة)،4/228-229.

2 سورة التوبة، من الآية:19.

3 ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**،ط3،(بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ)409/3.

4 سورة التوبة، الآية:58.

5 السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، **لباب النقول في أسباب النزول**،د.ط،(بيروت : دار إحياء العلوم)115/1.

6 سورة التوبة، الآية:79.

7 هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري البدري، شهد العقبة، مات 40هـ. انظر: العسقلاني، مرجع سابق، 3 / 126 .

8 سورة التوبة، من الآية:79.

9 **صحيح البخاري** ،كتاب الزكاة ، باب تبتغي مرضاة أزواجك ، 109/2، رقم الحديث 1415.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1] ، سبب نزول الآية: عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أُبَيّ[2] جاء ابنه عبد الله الله بن عبد الله[3] إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، عليه، فقام ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أتصلي عليه؟ وقد نهاك ربك أن تصلي عليه، فقال رسول الله ﷺ: إنما خيرني الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾[4] ، وسأزيد على السبعين" ، فقال إنه منافق، قال: فصلى عليه، فأنزل الله: ﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ...﴾[5]،[6].

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[7] ، وسبب هذه الآية، عن ابن ابن عباسﷺ قال: (أن أناسا من الأنصار ابتنوا مسجدا فقال لهم أبو عامر[8] : ابتنوا مسجدكم واستمدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند فأخرج محمدا وأصحابه فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا له : لقد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه.

---

1 سورة التوبة، الآية: 84.

2 هو عبد الله بن أُبيّ رأس المنافقين، ونزل في ذمة آيات كثيرة مشهورة، وتوفي في زمن رسول الله ﷺوصلى عليه وكفنه في قميصه قبل النهى عن الصلاة على المنافقين، وإنما صلى عليه لكرامة ابنه وإحسانًا وكرمًا وحلمًا. انظر: النووي، أبي زكريا محيي الدين بن شرف، **تهذيب الأسماء واللغات**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية)،260/1.

3 هو عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، الانصاري الخزرجي، المعروف والده بابن سلول سلول المنافق المشهور، وكان اسمه الحباب، وبه كان أبوه يكنى، فغيره النبي، صلى الله عليه وسلم، وسماه عبد الله، شهد بدرا وما بعدها. انظر: الذَهَبي، سير **أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط،د.ط،(الناشر: مؤسسة الرسالة)،323/1.

4 سورة التوبة، الآية: 80.

5 سورة التوبة، من الآية: 84.

6 **صحيح البخاري** ،كتاب التفسير ، باب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، 67/6، رقم الحديث 4670.

7 سورة التوبة، الآية: 107.

8 هو عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان أحد بني ضُبَيْعة ، وكان يسمَّى الراهب فسمَّاه النبي الفاسق، وكان رأس الأوس في الجاهلية، انظر :ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق : طه عبد الرؤف سعد،د.ط،(بيروت: دار الجيل، 1411هـ)،13/4.

فأنزل الله: ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[1]،)[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: نزلت في أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[3] ، قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم[4].

هذه الآية الكريمة نزلت أثناء الغزوة، وذلك أن المنافقين بنوه قبل غزوة تبوك، وأنه ﷺ أَجَّلَ الصلاة فيه إلى حين عودته من الغزو، فنزل قول الله تعالى يمنعه من الصلاة فيه، فبمجرد وصوله ﷺ المدينة أرسل من ينقض أركانه ويهدَّ بنيانه.

ذكر الإمام السيوطي رحمه الله من أسباب النزول، (فلما رجع نزل بذي أوان على ساعة من المدينة، فأنزل الله في المسجد: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا...﴾[5] إلى آخر القصة، فدعا مالك بن الدخشن[6]، عاصم بن عدي[7]، فقال: "انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وأحرقاه" ففعلا)[8].

ففعلا)[8].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[9]

---

1 سورة التوبة، الآية: 108.

2 السيوطي، **لباب النقول في أسباب النزول**،د.ط،(بيروت : دار إحياء العلوم)115/1.

3 سورة التوبة، الآية: 108.

4 **سنن الترمذي**: كتاب القراءات، باب ومن سورة التوبة، 5/ 280، رقم الحديث، 3100.

5 سورة التوبة، من الآية: 107.

6 هو مالك بن الدخشم بن مالك بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف الصحابي، شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ باتفاق أهل المغازى والسير. انظر: النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية)،81/2.

7 هو أبو عمر عاصم بن عدى بن الجد، ابن العجلان بن حارثة، ابن ضبيعة، القضاعى العجلانى حليف الأنصار، شهد أُحُدًا، ولم يشهد بدرًا بنفسه، كان رسول الله ﷺ استعمله على قباء، وأهل العالية، وضرب له بسهم، فكان له حكم من شهدها، وهو صاحب عويمر العجلانى فى قصة اللعان. انظر: النووي، مرجع سابق،255/1.

8 السيوطي، مرجع سابق، 115/1.

9 سورة التوبة، الآية: 113.

وسبب نزول هذه الآية من طريق سعيد بن المسيب[1] عن أبيه (قال: لما حضر أبا طالب[2] الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل[3] وعبد الله بن أبي أمية[4] فقال النبي ﷺ: أي عم قل لا إله إلا إلا الله أحاجُّ لك بها عند الله فقال أبو جهل و عبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب[5] فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [6]،[7].

(ظاهر هذه الآية تقول أن نزولها كان في مكة، لكن لما بَيَّنَ الله تعالى من أول السورة وجوب إظهار البراءة عن الكفار والمنافقين من جميع الوجوه، بين في هذه الآية أنه تجب البراءة عن أمواتهم، وإن كانوا في غاية القرب كالأب والأم، كما أوجبت البراءة عن أحيائهم)[8]. وقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[9].

---

1 هو الإمام الجليل أبو محمد سعيد بن المسيب ابن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ، ابن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القريشى المخزومى التابعى، إمام التابعين، ولد سعيد لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب، توفى سنة ثلاث وتسعين. انظر: النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية)،1/219-220.

2 هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب: والد علي ﷺ وعم النبي صلى الله عليه وسلم وكافله ومربيه ومناصره، كان من أبطال بني بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء لاباة، وله تجارة كسائر قريش، نشأ النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،4/166.

3 هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدر الاسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، فكان من قتلاها سنة 2هـ. انظر: **الزركلي**، مرجع سابق ،5/87.

4 هو عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واسم أبي أمية حذيفة وهو أخو أم سلمة زوج النبي وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول رسول الله. انظر : ابن الأثير، **أسد الغابة**، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي،ط1،(بيروت: دار إحياء التراث العربي)،3/176.

5 هو أبو الفضل الهاشمى، وباقى نسبه سبق فى نسب رسول الله ﷺ ، كان أسن من رسول الله ﷺ بسنتين أو ثلاث، وأمه نتيلة وهى أول عربية كست الكعبة الحرير، توفى العباس، رضى الله عنه، بالمدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة ليلة خلت من رجب. انظر: **النووي**، مرجع سابق، 1/257-358.

6 سورة التوبة، الآية: 113.

7 **صحيح البخاري** ،كتاب التفسير ، باب ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، 6/69، رقم الحديث 4675.

8 الفخر الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، **مفاتيح الغيب**،ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م)،16/165.

9 سورة التوبة، الآية: 117.

وسبب نزولها ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن كعب بن مالك[1] قال: سمعت كعب بن مالك[2] يحدث حين تخلف عن قصة تبوك، (فوالله ما أعلم أحداً أبلاه الله في صدق الحديث مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وأنزل الله عزَّ وجل على رسوله ﷺ ﴿لَقَدْ تَابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾[3] ، إلى قوله: ﴿وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين﴾[4]،[5].

إن خاتمة السورة نزلت بالتوبة على الثلاثة الذين خلِّفُوا وصدقوا في توبتهم بعد الرجوع من غزوة تبوك بخمسين ليلة، إلا الآيتين الأخيرتين، فهما مكيتان باتفاق العلماء.

1 هو عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري السلمي المدني روى عن أبيه وعثمان وأبي أيوب وجابر وعدة روى عنه ابنه عبد الرحمن وإخوته محمد وعبد الرحمن ومعبد والزهري وآخرون وثقه أبو زرعة وغيره ومات سنة سبع أو ثمان وتسعين. انظر: السيوطي، عبدالرحمن ابن أبي بكر، **إسعاف المبطأ برجال الموطأ**،د.ط،(مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1389هـ - 1969م)،17/1.

2 هو كعب بن مالك بن أبي كعب واسمه عمرو بن القين الأنصاري السلمي أبو عبد الله المدني الشاعر أحد الثلاثة الذين خلفوا وأحد السبعين ليلة العقبة روى عنه أولاده عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن ومحمد ومعبد وأبو أمامة الباهلي وجابر وغيرهم قال بن البرقي وغيره مات بالمدينة قبل الأربعين وقال الواقدي مات سنة خمسين وله سبع وسبعون سنة. انظر: السيوطي، **تهذيب الأسماء واللغات**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية)،24/1.

3 سورة التوبة، الآية: 117.

4 سورة التوبة، الآية: 119.

5 **صحيح البخاري** ، كتاب التفسير، باب يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، 71/6، رقم الحديث،4678.

المبحث الثاني: المناسبات في السورة.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى المناسبة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: فوائد معرفة المناسبة.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها "سورة الأنفال".

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما بعدها "سورة يونس".

المطلب الخامس: مناسبة أول السورة لآخرها.

المطلب الأول: معنى المناسبة لغة واصطلاحا.

المناسبة لغة:

قال ابن فارس[1] في معجم مقاييس اللغة: (النون ، والسين ، والباء ، كلمة واحدة ، قياسها اتصال شيء بشيء ، منه النَسَب ، سمي لاتصاله ، وللاتصال به تقول : نَسَبْتُ أَنْسَبَ. وهو نَسِيبُ فلان. والنسيب : الطريق المستقيم ، لاتصال بعضه من بعض)[2].

وفي لسان العرب: (وتقول: ليس بينهما مُنَاسَبَة، أي: مُشَاكَلَة)[3] ، ومعلوم أن المشاكلة بمعنى المماثلة، فنقول هذا شكل فلان، أي مثيله.

فالمناسبة لغة تعني: الاتصال ، والمقاربة ، والمماثلة.

والمناسبة في الاصطلاح:

عرفها الشيخ مناع القطان[4] رحمه الله تعالى، فقال هي: (وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة)[5].

ويقول البقاعي رحمه الله تعالى: (علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها)[6].

---

1 هو أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين اللغوي، له تصانيف في التفسير والسيرة وأخلاق وأسماء النبي ﷺ كتاب فقه اللغة وغيرها وفاته 395هـ انظر : السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **طبقات المفسرين**، تحقيق : علي محمد عمر،ط1،(القاهرة: مكتبة وهبة، 1396م)،15.

2 ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، د.ط،(بيروت: دار الفكر، 1399هـ - 1979م) مادة "نسب"،423/5-533.

3 ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**،ط1،(بيروت: دار صادر)،755/1.

4 هو مناع خليل القطان ولد بالمنوفية بمصر 1925م حفظ القرآن صغيرا التحق بجماعة الإخوان المسلمين جاهد في فلسطين، سجن ، تنقل في العمل في بعض البلاد العربية مات 1999م ودفن بالرياض. انظر: http://www.daawa-info.net/bio.php?id=92

5 مناع القطان، مناع خليل القطان، **مباحث في علوم القرآن**،ط3،(مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،1421هـ - 2000م)،96.

6 برهان الدين إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1995م)،5/1.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

إنَّ توافق المعنى اللغوي والاصطلاحي للمناسبة يبين مدى التقارب والارتباط والتواؤم بين الآيات والسور، لأن إدراك المناسبة يتطلب سعة اطلاع، وإمعان نظر، وحُسن تدبر، ويختلف المفسرون في التعرف على المناسبة كل حسب تسابق فهمه وحسن إدراكه.

لذا يرى–الباحث– أن مفهوم المناسبة ومعناه يتطلب: قدرة على حسن الفهم والإدراك لوجه ارتباط الآيات بعضها ببعض، والسور، للتعرف على مزيد من المعاني المنبثقة من حسن انتظامها وتسلسلها، مع بيان جمال سياقها، وبيان جمال اتحاد معانيها، ويكون ذلك عن طريق تدبر الآيات والمعايشة مع القرآن الكريم.

المطلب الثاني: فوائد معرفة المناسبة.

يقول الشيخ البقاعي رحمه الله تعالى عن علم المناسبة، ثمرته وأهميته وعلاقته بالتفسير: (تتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو)[1].

إذا كان لمعرفة سبب النزول أثر في فهم المعنى وتفسير الآية، فإن معرفة المناسبة بين الآيات تساعد على حسن التأويل ودقة الفهم كذلك، وإدراك اتساق المعاني بين الآيات والوصول إلى ترابط أفكارها وتواؤم ألفاظها، في الدروس المتعددة والمواعظ في الأحكام والأخلاق والقصص القرآني وآيات العقيدة وغيرها.

يقول الإمام الزركشي[2] رحمه الله : (واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز بها العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول، وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء)[3].

---

1 **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ -1995م)،5/1.

2 هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والاصول، تركي الاصل، مصري المولد والوفاة، له تصانيف كثيرة مات 794هـ.انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،60/6.

3 بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم،ط1،(دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، 1376 هـ - 1957 م)،35/1-36، باختصار.

ومن هذه الفوائد:

1-(يبرز جانبا من جوانب إعجاز القرآن الكريم)[1]، ليظهر الإعجاز البلاغي بأبهى صوره، وتمام بنيانه، ففي قوله تعالى: ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2] ، نجد أن وجه الصلة والمناسبة بين أول الآية ﴿براءةٌ﴾ اللهِ جلَّ في علاه، وبراءةٌ رسوله ﷺ وبين آخر الآية ﴿ إِلَى الَّذِينَ ﴾ المعَاهَدِين الذين نقضوا عهودهم في التالي:

1-ربط الله تعالى بين شدة إعلان البراءة وخطورة الشرك ونقض العهد.

2-إنَّ تقديم براءة الله تعالى، على براءة رسوله ﷺ فيه توجيه رباني وأثار تربوية.

3-براءة الرسول ﷺ بيان لسرعة الامتثال لأمر الله وخاصة البراءة من المشركين.

4-إن البراءة من المعَاهَدِين الذين نقضوا عهودهم، تحذيرٌ لغير المعاهدين.

2-إن المناسبة بين آيات السورة الواحدة،(تُظْهِرُهَا كبناء محكم متآلف متلائم الأجزاء)[3].

3-(إن وجه المناسبة قد يكون تأكيدا لجملة ما قبلها، أو بيانا، أو تفسيرا، أو اعتراضا تذييليا، ولهذا أمثلة كثيرة. فيزداد الفهم)[4]، ويُزَالُ الشك المترتب على عدم فهمه.

4-(إن أهمية إدراك المناسبات بين مقاطع السورة وافتتاحيتها وخاتمتها يعين على فهم السورة وتفسيرها تفسيراً موضوعيا، وتلقي أضواء كاشفة على محور السورة وهدفها) [5].

---

1 مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**،ط1،(دمشق: دار القلم،1410هـ - 1989م)،90.

2 سورة التوبة، الآية: 1.

3 مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**،ط3،(مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،1421هـ - 2000م)،96.

4 المرجع السابق،97.

5 مصطفى مسلم، مرجع سابق ،90-91.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها "سورة الأنفال".

إن وجه الصلة والترابط بين سورتي الأنفال والتوبة،(فهي كالمتممة لها في وضع أصول العلاقات الدولية الخارجية والداخلية، وأحكام السلم والحرب، وأحوال المؤمنين الصادقين والكفار والمنافقين، وأحكام المعاهدات والمواثيق، إلا أن في الأنفال بيان العهود والوفاء بها وتقديسها، وفي براءة نبذ العهود، وذكر في السورتين صدّ المشركين عن المسجد الحرام، والترغيب في إنفاق المال في سبيل الله، وتفصيل الكلام في قتال المشركين وأهل الكتاب وبيان أوضاع المنافقين)[1].

يقول الشيخ البقاعي رحمه الله تعالى: (ولما كانت مناسبة أولها، الداعي إلى البراءة ممن يخشى نقضه، لآخر الأنفال المبين لمن يصلح للولاية المختتم بشمول العلم في حد عظيم من الظهور مع ما تقدم من بيان مناسبة آخر الأعراف لأول الأنفال ، قدمت الأنفال مع قصرها على براءة مع طولها واشتباه أمرها على الصحابة في كونها سورة مستقلة أو بعض سورة كما قدمت آل عمران مع قصرها على النساء لمثل ذلك من المناسبة ، فكان ما ذكر في براءة من البراءة والتولي شرحا لآخر الأنفال) [2].

يقول ابن العربي[3] رحمه الله : (هذا دليل على أن القياس أصل في الدين، ألا ترى إلى عثمان وأعيان الصحابة كيف لجئوا إلى قياس الشبه عند عدم النص، ورأوا أن قصة " براءة " شبيهة بقصة " الأنفال " فألحقوها بها) [4].

---

1 الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**،ط2،(دمشق: دار الفكر المعاصر،1418هـ)،92/10.

2 **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ -1995م)،258/3.

3 ابن العربي العلامة الحافظ القاضي هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي، توفي ابن العربي بالعدوة بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. انظر: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، تحقيق: زكريا عميرات، ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ- 1998م)،61/4.

4 ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،ط3،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ - 2003 م)،446/2.

من وجوه التناسب بين سورتي "الأنفال" و"التوبة":

1-ذكر بعض صفات المشركين في "الأنفال"، أتبعت في "التوبة" بعض صفات المشركين وأهل الكتاب والمنافقين، من نقض للعهد، والتولي بعد العلم، وغيرها الكثير من الصفات التي اتسم بها المشركون والمنافقون.

2-جاء صدر سورة التوبة شارحا ومفصلا لآخر الأنفال وخاصة في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِين * وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ ﴾[1]. فالله لا يحب الخائنين، ومبعدون من رحمته، لأنهم كذبوا من صدَّقهم، وخانوا من أَمَّنَهُم، وغدروا من عاهدهم، ونقضوا العهد، فاستحقوا لواء الغدر يوم القيامة، فعن أنس بن مالك ﷺ ، عن النبي ﷺ أنه قال: (لكل غادر لواء يوم القيامة)[2].

3-تحدثت سورة الأنفال عن صَدِّ المشركين عن المسجد الحرام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَآءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[3]، وفي التوبة تحدثت عن منع المشركين أن يعمروا مساجد الله نتيجة صدهم عن البيت الحرام، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله [4]: (ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مساجد الله التي بنيت على اسمه وحده لا شريك له، وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، وقال في التوبة: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[5]، فشهد تعالى بالإيمان لعمار المساجد)[6].

4-كان ختام سورة الأنفال أن وعد الله المؤمنين بالمغفرة، لأنهم يتصفون بالإيمان، وما يشمله من أعمال عظيمة كالهجرة والجهاد في سبيل الله وما يصاحبهما من ولاء ونصرة للمؤمنين، وما أعدَّ الله

---

1 سورة الأنفال ، الآية: 58-59.

2 **صحيح البخاري** ،كتاب الجزية والموادعة ، باب إثم الغادر للبر والفاجر، 104/4، رقم الحديث 3186.

3 سورة الأنفال ، الآية: 34.

4 هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 706 هـ ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق سنة 774هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،320/1.

5 سورة الأنفال ، الآية: 18.

6 ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة،ط2،(دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م)،119/4.

لهم من الرزق الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1]،وفي ختام سورة التوبة يصف المؤمنين الصادقين الذين (أوقعوا الإيمان حقيقة لصحة أمزجة قلوبهم)[2].

5-في "الأنفال" ذَكَر العهود، وفي براءة نبذ العهود، إلا إن الأنفال تناولت العهود بأن يأخذ المسلمون حذرهم في معاملة المشركين وعهودهم، فقال: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ﴾[3] ، وأمر بنبذ عهدهم إذا ما لاحظ المسلمون خيانة، من المشركين، فقال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾[4]، وفي "التوبة" أمر بالوفاء الكامل من قبل المشركين بعهودهم وأن لا ينقصوا المسلمين شيئا، فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[5] ، ثم رد عهودهم إذا ما حالوا الإخلال بعهدهم، فقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[6].

---

1 سورة الأنفال ، الآية: 74.

2 البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ -1995م)،404/3.

3 سورة الأنفال ، الآية: 56.

4 سورة الأنفال ، الآية: 58.

5 سورة التوبة، الآية: 4.

6 سورة التوبة، الآية: 7.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما بعدها "سورة يونس".

فإن المناسبة ووجوه الارتباط بين السورتين وإن بدت خفية، كثيرة منها:

مناسبة أول "سورة التوبة" بأول "سورة يونس": المقابلة بين بشارة الله تعالى للمشركين في أول سورة التوبة وبشارة الله تعالى للمؤمنين،(فالمشركون الذين يعرضون عن أوامر الله تعالى يستحقون أن يوجه الله تعالى الخطاب تحقيرا لهم مخاطبا من خلال أعلى خلقه مبشرا لهم في أسلوب التهكم بهم فقال عاطفا على ما تقديره: فبشر الغادرين بالخذلان)[1]، قال الله تعالى: ﴿... وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2] .

وبالمقابل في أول سورة يونس يقول الشيخ البقاعي رحمه الله تعالى: (خصَّ الله المؤمنين الذين عملوا الصالحات تصديقا لدعواهم، بالبشارة بقبول حسناتهم وتكفير سيئاتهم والتجاوز عن هفواتهم وترفع درجاتهم، فمقتضى العدل إثابة الطائع، وعقاب العاصي، لتكون المناسبة بين الإنذار والبشارة، فالإنذار: الإعلام بما ينبغي أن يحذر منه، والتبشير: التعريف بما فيه السرور)[3]، فقال: ﴿...وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ... ﴾[4].

مناسبة آخر سورة التوبة بأول "سورة يونس": ختمت سورة التوبة بمنِّ الله تعالى على الناس أن أرسل إليهم رسولا من أنفسهم يعرفونه بطيب محامده وكريم خلاله، فما عابه قبل الرسالة أحد ﷺ، فقال جل في علاه: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[5] ، وافتتح "سورة يونس" بذم من تعجب وأنكر رسالة رجل مرسل إليهم "مِنْهُمْ" يعرفونه، قال الله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ

---

1 البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1995م)،270/3،بتصرف.

2 سورة التوبة، من الآية: 3.

3 المرجع السابق، 414/3،بتصرف.

4 سورة يونس، من الآية: 2.

5 سورة التوبة، الآية: 128.

عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾[1]. فالخطاب في الآية الأولى للعرب وأنه ﷺ منهم، ومبعوث لهم وللعجم، فالخطاب للعالم كله لعموم بعثته، فيكون بمعنى ما يأتي أول "يونس" التالي: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ...﴾[2].

مناسبة آخر "سورة التوبة" وآخر "سورة يونس": ختم الله جل جلاله سورة التوبة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3] ، يمنُّ الله جل في علاه بمبعث رسول الله ﷺ الحجة المهداة بالحق والنور، قال الإمام القرطبي[4] رحمه الله : ("من أنفسكم" يقتضي مدحا لنسب النبي ﷺ...لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز حريص بالمؤمنين رؤوف رحيم، عزيز عليه ما عنتم لا يهمه إلا شأنكم، وهو القائم بالشفاعة لكم فلا تهتموا بما عنتم ما أقمتم على سنته، فإنه لا يرضيه إلا دخولكم الجنة)[5]، وختم "سورة يونس" بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[6].

فختام سورة يونس كما يقول الإمام القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: (﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ﴾ أي القرآن. وقيل: الرسول ﷺ ﴿ فَمَنِ اهْتَدَى ﴾ ، أي صدق محمدا وآمن بما جاء به. ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِ﴾ ، أي لخلاص نفسه. ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ ، أي ترك الرسول والقرآن واتبع الأصنام والأوثان. ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ ، أي وبال ذلك على نفسه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ، أي بحفيظ أحفظ أعمالكم إنما أنا رسول الله)[7].

---

1 سورة يونس، الآية: 2.

2 رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا، **تفسير المنار**، د.ط،(المصرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م)،11/70-71، بتصرف.

3 سورة التوبة، الآية: 128.

4 هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب في شمالي أسيوط، بمصر، وتوفي فيها سنة 671 هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،5/322.

5 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، د.ط،(الرياض: دار عالم الكتب،1423 هـ- 2003 م)،8/302.

6 سورة يونس، الآية: 108.

7القرطبي، مرجع سابق ، 8/388-389.

المطلب الخامس: مناسبة أول السورة لآخرها.

إن معرفة مدى الترابط والتلاؤم والتناسق البديع بين الآيات والسور، يرشدنا إلى محور السورة ووحدتها الموضوعية، ومن ثمَّ الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، وأن الإنسان مدعو لتعظيمه وتسبيحه امتثالا لأمره، كباقي المخلوقات التي امتثلت لأمره بالفطرة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[1].

يقول الشيخ البقاعي رحمه الله : (لما قرر أمر البراءة إثباتا ونفيا، أمر بما يصنع بعد ما ضربه لهم من الأجل فقال: ﴿فَإِذَا﴾ أي فتسبب عن ذلك أنه إذا ﴿انْسَلَخَ﴾ أي انقضى وانجرد وخرج ومضى ﴿الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ أي التي حرمت فيها قتالهم وضربتها أجلا لسياحتهم ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي الناكثين الذين ضربتم لهم الأجل إحسانا وكرما)[2]، ثم ربط بين المشركين كونهم نجس بأهل الكتاب، فأمر عباده بقتالهم، فقال الله تعالى:﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[3].

ويقول الشيخ البقاعي رحمه الله أيضا:(أي قاتلوا الذين أخذت عليهم رسلهم العهود والمواثيق بإتِّبَاعِه، ثم بين الموصول مع صلته فقال: ﴿الَّذِينَ﴾ ودل على استهانته سبحانه بهم وبراءته منهم، بأن بنى للمفعول قوله: ﴿أُوتُوا الْكِتَاب﴾ من اليهود والنصارى ومن ألحق بهم)[4].

---

1 سورة الحج، الآية: 18.

2 **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق :عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ -199م)،271/3، بتصرف.

3 سورة التوبة، الآية: 29.

4 البقاعي ، مرجع سابق، 299/3،بتصرف.

كما ربط بين أهمية الجهاد ونتائجه، وخطورة أهل الكتاب والمنافقين بإعراضهم، فتناسب تشبيههم بالمشركين وأهل الكتاب الذين يجيدون فن الإعراض وبث الأراجيف، لذلك حذّرَ المسلمين من سماعهم ومخالطتهم فقال: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[1].

ثم بين بعض صفات المنافقين الخطيرة، فقال: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[2] ، ليربط ذلك بكيفية استهزائهم بالمؤمنين المتصدقين، ويربط ذلك بآية الزكاة، لتتواصل الآيات في الحديث عن المنافقين، حيث أخذوا مساحة واسعة من السورة، ثم جمع الله تعالى مع المنافقين عموم الكفار، عندما أمر رسوله ﷺ بقتالهم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[3]، (ولأنه ﷺ مطبوع على الرفق، أمره ربه بالغلظة)[4] عليهم ليتناسب إعلان البراءة والحرب عليهم والغلظة، وليكن سبب الحرب والغلظة فيهم هو الغدر الذي يتقنوه، ويحض على الجهاد ويبين فضله في مواضع متعددة، ليختم السورة أيضا بحث المؤمنين على قتال الكفار، وخاصة الأقرب لحدود الدولة الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[5] ، ليرسخ فكرة الدولة في نفوس المؤمنين ويعطي لهذه الدولة حرمة لها من خلال الحفاظ على أهم أركان سيادتها، وليجدوا في قتالكم لهم شدة وخشونة ومتعلقاته، كما في الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿واغلظ عليهم﴾، (لأن الغلظة من متطلبات الحرب، ومقتضيات المصلحة وطبيعة القتال)[6]، ليكون التناسب بين أول السورة ووسطها متناغم بصورة بديعة تعطينا درر المعاني والأسرار.

---

1 سورة التوبة، الآية: 47.

2 سورة التوبة، الآية: 54.

3 سورة التوبة، الآية: 73.

4 البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق :عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ -199م)،360/3، بتصرف.

5 سورة التوبة، الآية: 123.

6 رشيد رضا، **تفسير المنار**، د.ط،(المصرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م)،66/11، بتصرف.

حذّر الله تعالى من التولي والإعراض في أول السورة فقال:﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] .

وحذر في آخرها من التولي والإعراض فقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[2]. أي (فاستعن بالله يا محمد وفوض أمرك له فهو كافيك، ويعطي بحسب الكفاية التي تغني عن غيره)[3].

وجود تناسب واضح بين السور ، فقد تتعدد الأغراض والانتقال من العقيدة إلى العبادة إلى الأخلاق والأمثال والقصص وأحكام السلوك والمعاملات.

1 سورة التوبة، الآية: 3.

2 سورة التوبة، الآية: 129.

3 البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1995م)،409/3،بتصرف.

المبحث الثالث : معلومات أولية عن التفسير الموضوعي .

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: التفسير الموضوعي لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني: أهمية التفسير الموضوعي .

المطلب الثالث: خصائص التفسير الموضوعي .

المطلب الأول: التفسير الموضوعي لغة واصطلاحا.

يتألف مصطلح التفسير الموضوعي من جزأين مركبا تركيباً وصفياً.

التفسير لغة: (مصدر على وزن تفعيل، فعله الثلاثي " فَسَر" والفعل الماضي من المصدر " تَفَسَّر" مضعف بالتشديد، وهو " فسَّر يُفَسر تفسَيرا" أي هو الكشف والبيان والتوضيح للمعني المعقول وإزالة إشكاله وكشف مراد الله فيه)[1].

في الاصطلاح: (علم يكشف به عن معاني آيات القرآن وبيان مراد الله تعالى حسب الطاقة البشرية)[2].

الموضوع لغة: (مشتق من الوضع، أي : جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض أو بمعني الالتقاء والتثبت في المكان.

الأول: وضع مادي حسي، ومنه: وضعه على الأرض، بمعني حطه وإلقائه وتثبيته عليها.

الثاني: وضع معنوي، ومنه: الوضيع، وهو الدنيء المهان الذليل، الذي قعدت به همته أو نسبه، فكأنه ملقى على الأرض، موضوع عليها: لا يفارق موضعه الذي التصق به أي أن النوعين يلتقيان على البقاء في المكان وعدم مفارقته، أي أن التفسير مع الموضوع لا يفارقه) [3].

أما تعريف مصطلح التفسير الموضوعي:

(هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر)[4].

---

1 الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، د.ط،(بيروت: دار الفكر،1412هـ - 1992م)،394.

2 د. مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**،ط1،(دمشق: دار القلم،1410هـ - 1989م)،15.

3 د. صلاح الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**،ط1،(الأردن: دار النفائس،1418هـ - 1997م)،29.

4 د. مصطفى مسلم، مرجع سابق، 16.

المطلب الثاني: أهمية التفسير الموضوعي .

(التفسير الموضوعي هو تفسير العصر والمستقبل وله أهمية كبرى عند المسلمين وحاجتهم إليه ماسة، وهذا التفسير يحقق للمسلمين فوائد عديدة من حيث صلتهم بالقرآن وتعرفهم على مبادئه وحقائقه، وتشكيل تصوراتهم وتكوين ثقافتهم، ومن حيث عملهم على إصلاح أخطائهم وتكوين مجتمعاتهم، والوقوف أمام أعداء الإسلام)[1].

وتبرز أهمية التفسير الموضوعي في:

- (حل مشكلات المسلمين المعاصرة وتقديم الحلول لها على أسس حث عليها القرآن الكريم.
- تقديم القرآن الكريم تقديماً علمياً منهجياً لإنسان هذا العصر، وإبراز عظمة هذا القرآن وحسن عرض مبادئه وموضوعاته، واستخدام المعارف والثقافات والعلوم المعاصرة أداة لهذا الغرض.
- بيان مدى حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين عموماً وإلى الإسلام خصوصاً، وإقناعه بأن القرآن هو الذي يحقق له حاجاته ومتطلباته.
- يقوم العلماء والباحثون بالوقوف أمام أعداء الله وتفنيد آرائهم وأفكار الجاهلية.
- عرض أبعاد ومجالات آفاق جديدة لموضوعات القرآن، وهذه الأبعاد تزيد إقبال المسلمين على القرآن.
- إظهار حيوية وواقعية القرآن الكريم حيث إنه يصلح لكل زمان ومكان فلا ينظر الباحثون إلى موضوعات القرآن على أنها موضوعات قديمة نزلت قبل خمسة عشر قرنا، وإنما يعرضونها في صورة علمية واقعية تناقش قضايا ومشكلات حية.

1 د. صلاح الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**،ط1،(الأردن: دار النفائس،1418هـ - 1997م)،49-50.

- التفسير الموضوعي يتفق مع المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، ويحقق هذه المقاصد في حياة المسلمين.
- التفسير الموضوعي أساس تأصيل الدراسات القرآنية وعرضها أمام الباحثين عرضاً قرآنياً منهجياً وتصويب هذه الدراسات وحسن تخليصها مما طرأ عليها من مشارب وأفكار غير قرآنية.
- عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجود إعجاز القرآن الذي لا تنقضي عجائبه.
- تأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها.
- بالتفسير الموضوعي ينفذ الباحثون أمر الله بتدبر القرآن الكريم وإمعان النظر فيه وإحسان فقهه وفهم نصوصه)[1].

وهكذا برز التفسير الموضوعي في عصرنا الحاضر كمكان يلجأ اليه الأمة ، ومن هذا البروز دفع الباحث لاستقراء آيات القرآن، كي أستخرج منه صور عن المنافقين في القرآن الكريم على الوجه الأكمل.

1 د. صلاح الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**،ط1،(الأردن: دار النفائس،1418هـ - 1997م)، 48-49.

المطلب الثالث: خصائص التفسير الموضوعي .

إن من أهم خصائص التي أدت إلى ظهور التفسير الموضوعي منها:

1- (اتجاه البحث العلمي في هذا العصر نحو مزيد من التخصص الدقيق، والعكوف على دراسة الشعب والفروع، على وجه الاستقراء والاستيعاب، والتوسع في متابعة أجزاء القضايا وتفاريقها، لذلك اتجهت الدراسات القرآنية هذه الوجهة حتى تخاطب عصرها بطريقته.

2- دخول عناصر جديدة إلى ميدان الدراسات الإسلامية والقرآنية من غير المسلمين، وعلى رأسهم طوائف المبشرين والمستشرقين، الذين اتجهوا للتوسع في الدراسات الإسلامية لخدمة أهداف كنائسهم، أو دولهم التي أغارت على العالم الإسلامي)[1].

3- (مواكبة التطور العلمي المعروف في هذا العصر، حيث شهد العصر الحديث تجوع العلماء والباحثين إلى مزيد من التخصص الدقيق، والتعمق المنهجي العلمي وتجميع الجزيئات المتفرقة في اطر عامة موحدة)[2].

1 د. عبد الستار فتح الله سعيد ،**المدخل الى التفسير الموضوعي**،ط1،(دار التوزيع والنشر الإسلامية،1407-1986م)،34

2 د. صلاح الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**،ط1،(الأردن: دار النفائس،1418هـ - 1997م)، 46-47.

الفصل الأول : المنافقون من خلال السورة.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: صفات المنافقين.

المبحث الثاني: خطورة المنافقين داخل المجتمع المسلم.

المبحث الأول: صفات المنافقين.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول : النفاق لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: أنواع النفاق.

ويشتمل على فرعين:

الفرع الأول: النفاق الاعتقادي.

الفرع الثاني: النفاق العملي.

المطلب الثالث: أصناف الناس من خلال السورة.

ويشتمل على أربعة فروع:

الفرع الأول: المشركون.

الفرع الثاني: أهل الكتاب.

الفرع الثالث: المؤمنون.

الفرع الرابع: المنافقون.

المطلب الرابع: صفات المنافقين من خلال السورة.

المطلب الأول : النفاق لغة واصطلاحا.

النفاق لغة: (مصدر نافق، يقال: نافق اليربوع إذا دخل في نافقائه، ومنه قيل: نافق الرجل: إذا أظهر الإسلام لأهله وأضمر غير الإسلام وأتاه مع أهله) [1] .

النفاق اصطلاحا: لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

قال ابن منظور[2]: (والنفاق اسم من الأسماء الشرعية التي وضعها الشرع ،لم تكن معروفة بمعناها الاصطلاحي هذا قبل الإسلام، وهو الذي يستر كفره ويظهر إسلامه) [3] .

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنى التوفيقي بين المعنى الاصطلاحي واللغوي، الذي أراه مناسبا في المنافق: أنه رجل خفي المعالم والأسرار، غامض الطرق والحيل والأخبارٍ، لا يستقيم على حال، لشدة قلقه واضطرابه النفسي، يظهر دينه عصمة لدمه، ويخفي كفره حبا في قومه، لأنه منهم وهم منه، قال الله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[4].

---

1 الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**،د.ط،(بيروت: المكتبة العلمية)،618/2.

2 هو محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الافريقى، صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوى الحجة، من نسل رويفع بن ثابت الانصاري، ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الانشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر فتوفى فيها سنة 711 هـ، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،108/7.

3 محمد بن مكرم، **لسان العرب**،ط1،(بيروت: دار صادر)، مادة "نفق"، 357/10.

4 سورة التوبة، الآية: 56.

المطلب الثاني: أنواع النفاق.

قال ابن رجب[1]: (النفاق في الشرع ينقسم الى قسمين :

الأول: النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه. وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ،ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار .

والثاني: النفاق الأصغر، أو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك). [2]

الفرع الأول: النفاق الاعتقادي.

هو الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كلَّه أو بعضه، ويسمَّى فاعله بالمنافق، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾.[3]

ولهذا النفاق علامات كثيرة، منها:

1- تكذيب الرسول ﷺ ، أو تكذيب بعض ما جاء به ﷺ.

2- بغض الرسول ﷺ ، أو بغض بعض ما جاء به ﷺ .

3- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ.

4- الاستهزاء بالله ورسوله وآياته، ﴿...قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ...﴾[4].

---

1 هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين، حافظ للحديث، من العلماء. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق سنة 781 هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،3/ 295-296.

2 ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، **جامع العلوم والحكم**،ط1،(بيروت: دار المعرفة، 1408هـ)،431.

3 سورة النساء، الآية:145.

4 سورة التوبة، من الآية: 65-66.

5- الاستهزاء من المؤمنين، ولمزهم في الصدقات، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

6- محاولة التدمير والتغيير في الإسلام، قال تعالى: ﴿...وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا...﴾[2].

7- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، لنشر الرذيلة في المسلمين، ورغبة في إفسادهم، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3].

8- موالاة الكفار من المشركين وأهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[4].

الفرع الثاني: النفاق العملي.

هو التخلق ببعض أخلاق المنافقين الظاهرة كالكذب، والخيانة، والغدر، وخلف الوعد، والتكاسل عن الصلاة، مع الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، كما ورد في الحديث، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان"[5].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)[6].

---

1 سورة التوبة، الآية: 79.

2 سورة التوبة، من الآية: 74.

3 سورة التوبة، الآية: 67.

4 سورة التوبة، الآية: 23.

5 **صحيح البخاري** ، كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق، 16/1، رقم الحديث 33.

6 المرجع السابق،16/1، رقم الحديث 34.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا)[1].

1 **سنن ابن ماجة**: كتاب الصلاة، باب صلاة العشاء والفجر جماعة، 509/1، رقم الحديث 797. (صححه الألباني).

المطلب الثالث: أصناف الناس من خلال السورة.

تناولت السورة أصناف الناس من بدايتها، فكانت على النحو التالي: المشركون، اليهود، النصارى، المؤمنون المجاهدون، ثم ذُكِرَ المنافقون بصفاتهم في أطول مقاطع السورة، يتخللها الحديث عن الأعراب وأصنافهم، وكذلك الحديث عن المؤمنين وبيعتهم مع الله، وصفاتهم، والترتيب الموضوعي الحالي للعناوين حسب تسلسلها الوارد في السورة.

الفرع الأول: المشركون.

تناولت السورة الحديث عن المشركين في (اثني عشرة موضعا)[1]، ففي أول السورة تم إعلان البراءة من القسم الأول من المشركين الذين نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ، مع بيان وتوضيح غدرهم، وأن غدرهم هذا وحقدهم وكراهيتهم مهما بلغ، لن يعجزوا الله في شيء.

أما القسم الثاني منهم فهم الذين التزموا مدتهم وأعطوا فرصتهم، وفرصة الاستماع منهم إلى كتاب الله، وبعد انقضاء المدة التي منحهم الله إياها.

وأما القسم الثالث، ما ينبغي أن يكون لهم عهد عند الله، وعند رسوله، لأنهم كفروا بالله وأصروا عليه، بعد أن أقيمت عليهم الحجة، وأخذوا مدتهم.

ثم نهى الله عن إعمار المشركين لبيت الله تعالى، وما ينبغي لهم ذلك، لعدم إيمانهم بالله تعالى، ثم تبين الآيات إلى ضرورة إعلان البراءة تماما من المشركين ولو كانوا أولي قربى من الآباء والأبناء وغيرهم.

الفرع الثاني: أهل الكتاب.

ذكر الله أهل الكتاب في سورة التوبة في مقطع صغير، بعد الحديث عن المشركين، ليحدد طبيعة العلاقة الشركية بين الوثنيين وبين أهل الكتاب، ونوعية العلاقة القديمة التي ينتهجها أهل الكتاب من خلال عدم إيمانهم بالله ورسوله ولا يمتثلون دين الحق، فلا يحلون حلالا ولا يحرمون حراما، لذا أوجب الله قتالهم لهذه الأسباب، ليكون هذا القتال من قبل المسلمين بمثابة رفض لسلوكهم ومعتقداتهم الشركية القائمة فيهم،

1 عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** د.ط،(القاهرة : دار الحديث) ،379-381.

كإدعاء اليهود بقولهم الشركي {عزير ابن الله}، وكذلك النصارى: {المسيح ابن الله}، وكذلك اتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله.

ثم يبشر الله عباده المؤمنين بقهر أهل الكتاب من خلال تشبيه محاولاتهم الخثيثة لإطفاء نور الله بأفواههم التي ستبوء حتماً بالفشل، يقول الإمام الرازي رحمه الله : (فكان هذا جاريا مجرى من يريد إبطال نور الشمس بسبب أن ينفخ فيها، وكما أن هذا باطل وعمل ضائع، فكذا ههنا، وأن الله قاهرهم، بإنجاز وعده لنبيه، وظهور دينه، بمزيد من النصرة والقوة وإعلاء الدرجة وكمال الرتبة)[1].

الفرع الثالث: المؤمنون.

لقد كان الحديث عن المؤمنين في سورة التوبة من خلال مقاطع صغيرة، من أول السورة من خلال الحديث عن المنافقين، ومن باب المقارنة بينهم وبين المنافقين، والحديث عنهم من زاوية الجهاد في سبيل الله، فمن بداية السورة حث الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بمجاهدة المشركين والقعود لهم كل مرصد، يقول الإمام الرازي رحمه الله : (اعلم أنه تعالى لما شرح معايب هؤلاء الكفار وفضائحهم، عاد إلى الترغيب في مقاتلتهم)[2].ويقول الأستاذ ابن عاشور رحمه الله : (هذا ابتداء خطاب للمؤمنين للتحريض على الجهاد في سبيل الله ، بطريقة العتاب على التباطىء بإجابة دعوة النفير إلى الجهاد) [3].

ثم بين طريقا آخر للترغيب في الجهاد وعظم فضله، من خلال معية الله معهم، لأن جهادهم لا يجلب لهم إلا الأجر العظيم والنفع العميم في الدنيا والآخرة، وبعد أن رغبت في الجهاد وأثنى عليهم في أول السورة وما أعدَّ الله تعالى لهم من الأجر والدرجات العلا من الجنة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[4].

---

1 **مفاتيح الغيب**،ط1(بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م)،32/16.

2 المرجع السابق، 48/16.

3 **التحرير والتنوير** ،د.ط،(تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 ه)،195/10.

4 سورة التوبة، الآية: 20.

ثم عرض عليهم الصفقة الرابحة بشراء أنفسهم وأموالهم، فقال جل في علاه:﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم﴾[1].

وفي الآية التالية يبين أهم صفات المبايعين الصادقين بقوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

ثم يختم السورة ببيان أهم صفاتهم ألا وهي الاستبشار والفرح بآيات الله ﴿...فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[3]. فمن كانت هذه صفاته كان حقا أن يشرفه الله بشرف الانتساب إلى رسول الله ﷺ.

ثم تختتم السورة بأهم الصفات الإيمانية، ألا وهي حسن التوكل على الله، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[4].

الفرع الرابع: المنافقون.

(من فضل القرآن الكريم على هذه الأمة، أن تولى حراستها وكشف لها ما خفي عنها من مؤامرات خططت لها جهات تكيد للدعوة، وتحاول القضاء على الإسلام والمسلمين، وتولى القرآن الكريم ولاحقة الأعداء وتنبيه المؤمنين ليأخذوا حذرهم من عدوهم، وركزت العداوة في المنافقين قبل غيرهم، لشدة خطرهم على الأمة الإسلامية، ولأنهم لا يضمرون في أنفسهم إلا الشر للمؤمنين، ولا يتمنون للدعوة عليه ولا ظهور، فكان لابد من كشف ما في قلوبهم من مرض، حتى لا ينخدع فيهم مسلم ولا يهلك بسببهم مؤمن)[5].

---

1 سورة التوبة، الآية:111.

2 سورة التوبة، الآية:112.

3 سورة التوبة، من الآية:124.

4 سورة التوبة، من الآية:129.

5 الجرايدة، جمال محمود نايف، **السمات الشخصية للمنافقين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية**، رسالة ماجستير،(بإشراف الجامعة الإسلامية بغزة،1431هـ- 2010م)،20.

(إن واقعنا خير شاهد على طبيعتهم الخبيثة، لذلك تحذرنا الآيات بإشارات واضحة جلية على أن النفاق صنيعة شيطانية، الساعي في الخير ظاهراً، والشر باطنا، لذا تحدثت السورة عن قلوبهم في تسعة مواضع)[1].

إن القلوب موضع الإيمان والكفر في الإنسان وبيتهما الحصين، لذا ونحن بصدد الحديث عن المنافقين فإن قلوبهم مصنفة متنوعة:

قلوب مرتابة مترددة: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[2]، إن المنافقين فيهم صفة الشك والتردد، الذي يولد الاضطراب والقلق، فينتج عن ذلك الخوف والجبن، هذه الصفات المتتالية والمتوالية في قلوب المنافقين، تجعلهم في ريب يترددون، فيستأذنون للانصراف عن الجهاد.

قلوب حائرة متذبذبة: قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾[3] ، إن حذرهم يجمع بين الخوف من أن تنبئهم بما في قلوبهم، ورغبة في الاستهزاء، لذلك قال الله فيهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[4]، فتارة إلى أهل الكفر يميلون، وأخرى إلى أهل الإيمان، متذبذبين بين الفريقين، فأجسادهم تسكن مع المسلمين، وقلوبهم ترفض الإيمان وتكره المؤمنين، ومصالحهم مرتبطة بالكافرين، لذلك هم خائفون على مصالحهم، لذلك هم في خوف وتذبذب دائم.

قلوب منافقة مضطربة: قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾[5] ، بسبب وعدهم الذي أخلفوه، والإنفاق الذي منعوه ببخلهم، وتوليهم وإعراضهم عن امتثال أوامر الله تعالى، كان اضطرابهم، يقول الإمام الرازي رحمه الله : (تلك العقوبة هي

---

1 عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**،د.ط،(بيروت: دار الهجرة،1985م)،549-551، بتصرف.

2 سورة التوبة، الآية:45.

3 سورة التوبة، الآية:64.

4 سورة النساء، الآية:143.

5 سورة التوبة، الآية:77.

حدوث الغم في قلوبهم وضيق الصدر وما ينالهم من الذل والذم ... فنقض العهد، وخلف الوعد يورث النفاق)[1].

قلوب استمرأت الجهل: قوله تعالى: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[3] ، وذلك لأنهم لا يقرؤون السنن الكونية، ولا يعتبرون بغيرهم وبمن سبقهم، حتى بمن يعايشوهم، يقول الإمام الرازي رحمه الله: (لأجل ذلك الطبع لا يعلمون ما في الجهاد من منافع الدين والدنيا)[4].

قلوب مريضة: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[5] ، يقول الإمام الرازي رحمه الله: (يدل على أن الروح لها مرض، فمرضها: الكفر والأخلاق الذميمة، وصحتها الأخلاق الفاضلة)[6].

قلوب مطبوع عليها بالكفر: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون﴾[7] .

يقول الإمام الرازي رحمه الله: (صرفهم عن الإيمان، بما أورثهم من الغم والكيد، والألطاف التي يختص بها من آمن واهتدى، بل صرفهم عن كل رشد وخير وهدى، فأضلهم وطبع عليها بكفرهم)[8].

---

1 **مفاتيح الغيب**،ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م)،113/16،بتصرف.

2 سورة التوبة، الآية:87.

3 سورة التوبة، الآية:93.

4 المرجع السابق، 130/16،بتصرف.

5 سورة التوبة، الآية:125.

6 المرجع السابق، 184/16،بتصرف.

7 سورة التوبة، الآية:127.

8 **مفاتيح الغيب**،ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م)،186/16،بتصرف.

والخلاصة أن الناس ثلاثة أصناف:

1- صنف مؤمن على الحقيقة ظاهراً وباطناً، فهؤلاء لا يجوز أن يكفروا بأي حال من الأحوال.

2- وصنف ظاهره الإيمان وباطنه الكفر، وهؤلاء يكفّرون إذا توافرت فيهم الشروط وانتفت عنهم الموانع، ويسمى الواحد منهم منافقاً أو زنديقاً.

3- فإذا قُطع أو جزم أنه كافر، فمعنى ذلك الشهادة عليه بأنه ليس في قلبه ذرة من إيمان.

المطلب الرابع: صفات المنافقين من خلال السورة.

1- فمن صفات المنافقين وخصالهم: عدمُ الخروج للجهاد، وهذا في غالب أحوالهم، وقد يخرجون نفاقاً أو إرجافاً أو غير ذلك، وهذا في القليل النادر. قال تعالى عن المنافقين: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ . يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾[1].

2- ومن صفات المنافقين: تظاهرهم بالإيمان أمام الصحابة عند حصول أي ريب، فعندما يحس هؤلاء المنافقون بافتضاح أمرهم يحاولون جاهدين أن يُقسموا الأيمان المغلظة أنهم من الصحابة، ولكن الله يفضحهم ويبين كذب دعواهم، قال سبحانه: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[2]، فالصحابة صنف والمنافقون صنف آخر.

3- ومن صفات المنافقين: أعمالهم المشينة التي فُضحوا بها، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[3]،ومسجد الضرار معروف، ومن بناه معروف، قال الإمام الطبري [4] رحمه الله: (والذين ابتنوا مسجداً ضراراً وهم فيما ذكر اثنا عشر نفسا من الأنصار)[5] فالذين بنوه ليسوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بل من المنافقين.

4- ومن صفات المنافقين أيضاً: التكاسل عن الصلاة وقلة ذكر الله، والشح والبخل، والجبن والخوف والهلع. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى

---

1 سورة التوبة، الآية:93-94.

2 سورة التوبة، الآية:56.

3 سورة التوبة، الآية:107.

4 هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الامام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة 310هـ. انظر: **الزركلي**، الأعلام، الأعلام، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)، 69/6.

5 محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر،ط1،(مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م)،468/14.

يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلا قَلِيلاً . مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[1].

5- ومن صفات المنافقين أيضاً: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف: من أكثر صفاتهم تأثيرا في المجتمع للإفساد والفساد، إضافة إلى تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى، وقبض الأيدي شحا وبخلا في الإنفاق والعمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2]، (فأعظم منكرهم تكذيب الرسول ﷺ، وأعظم المعروف الذي ينهون عنه الإيمان بالله تعالى)[3].

6- يختلقون الأعذار تهربا من الواجبات: ليبقوا في دائرة الإيمان ظاهرًا في أعين المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4]، يقول الشيخ البقاعي رحمه الله : (فهم يوسعون حيلهم في وجهٍ يدفع عنهم قصورهم، لأخذ الإذن بما اعتذروا كاذبين، ويقعدوا عن الغزو)[5].

وخلاصة القول: أن الله بين من صفات المنافقين ما يميزهم عن غيرهم ،ولهذا لما كشفهم الله بسورة براءة بقوله: ومنهم ومنهم، صار النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعرف نفاق ناس منهم لم يكن يعرف نفاقهم قبل ذلك، فإن الله وصفهم بصفات علمها الناس منهم، وما كان الناس يجزمون بأنها مستلزمة لنفاقهم، وإن كان بعضهم يظن ذلك، وبعضهم يعلمه، فلم يكن نفاقهم معلوماً عند الجماعة، بخلاف حالهم لما نزل القرآن.

---

1 سورة النساء، الآية:142-143.

2 سورة التوبة، الآية:67.

3 الرازي، **مفاتيح الغيب**،ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م)،101/16.

4 سورة التوبة، الآية:94.

5 **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ -1995م)،374/3،باختصار 1995م)،374/3،باختصار وتصرف.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: (التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أنها لن تبقي أحداً منهم إلا ذكر فيها)[1].

ولهذا لم يقع للمنافقين أي تزكية أو وعد بالجنات، بل أظهر الله من صفاتهم ما ميَّزهم به عن المؤمنين، وتوعدهم بالعذاب الأليم، وبالدرك الأسفل من النار.

1 **صحيح مسلم**، كتاب التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر، 2322/4، رقم الحديث 3031.

المبحث الثاني: خطورة المنافقين داخل المجتمع المسلم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: علاقة المنافقين بأهل الكتاب والمشركين.

المطلب الثاني: صور من فضائح المنافقين وإرجافهم في خذلان المسلمين.

المطلب الثالث: الحلف عند المنافقين.

المطلب الأول: علاقة المنافقين بأهل الكتاب والمشركين.

المنافقون هم الشر النائم، والخطر الداهم، والعدو الدائم، وصدق الله فيهم: ﴿...هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىَ يُؤْفَكُونَ﴾[1] ،يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (إن طبيعة العلاقة بين منهج الله ومناهج الجاهلية قائمة على المواجهة بمختلف مسمياتها بحركة مكافئة، لتكون العلاقة معهم من خلال المعطيات التالية: "شرك، كفر، نفاق" ثم ينطلق من هذه الوقائع حكما نهائيا، لتحديد هذه العلاقة) [2].

فعلاقتهم مع أهل الكتاب قائمة على الأمور التالية:

أولا: الكفر بالله: لقد بينت سورة التوبة نوعية العلاقة الخفية بين المنافقين وأهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[3] ، لهذه الأسباب، أوجب الله قتال أهل الكتاب، (لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرَّم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق)[4].

ثانيا: الكيد للإسلام والحقد على أهله في محاولاتهم لإطفاء نور الله تعالى، إن محاولات أهل الكتاب القضاء على المسلمين والكيد لهم لم ولن يتوقف، فأهل الكتاب هذا ديدنهم ومسعاهم ومبتغاهم، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[5] ، وقال الله تعالى في المنافقين: ﴿ قَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[6] ، وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ

---

1 سورة المنافقون، من الآية: 4.

2 **في ظلال القرآن**،د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،3/1620-1621.

3 سورة التوبة، الآية:29.

4 المرجع السابق، 3/1621.

5 سورة التوبة، الآية:32.

6 سورة التوبة، الآية:48.

يَسْخَطُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ﴾[2].

ثالثا: الصد عن دين الله وأكل أموال الناس بالباطل: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3] ، هذه أهم أعمال أهل الكتاب وأئمة كفرهم، في صدهم عن دين الله، بعدوانهم المتواصل على المسلمين، يشترك معهم المنافقون بأبشع أنواع الصد، كما حدث في كثير من البلاد التي قطعت أوصالها، وفرض عليها أسوأ وأشد أنواع الحصار في التاريخ، يعاونهم المنافقون، بكل أنواع الحقد والكراهية، في ابتزاز الأموال وأكلها بالباطل.

1 سورة التوبة، الآية:58.

2 سورة التوبة، الآية:65.

3 سورة التوبة، الآية:34.

المطلب الثاني: صور من فضائح المنافقين وإرجافهم في خذلان المسلمين.

لقد رسم القرآن بمجموعة من الآيات شخصية المنافق، المشتملة على مجموعة من الصور المقيتة والخطرة، ومن هذه الصور:

الصورة الأولى: كثرة الحلف والتعلل الكاذب: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾[1]، أظهر الله حقيقتهم في سعيهم لمصالحهم دون شوكة، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (كثيرون أولئك الذين يجهدون لطول الطريق فيتخلفون عن الركب من أجل عرض تافه أو مطلب رخيص، يصاحبهم كذب الضعيف، ولو بدا في صورة الجبارين، ويخيل إليهم أن كذبهم سينجيهم، والله يكشفه للناس، فيهلكهم في الدنيا بكذبهم، وفي الآخرة عذاب أليم، يوم لا ينفع النكران ولا الحلفان)[2].

الصورة الثانية: أهل الريب والتردد: ﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[3]. وضع القرآن قواعد أسس إدارة العلاقات البشرية، وبيان طبقات الناس وغير ذلك، الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، لا ينتظرون أن يؤذن لهم، ولا يتلكأون في تلبية داعي النفرة (بل يسارعون خفافا وثقالا، طاعة لأمره وابتغاء مرضاته)[4].

الصورة الثالثة: حب نشر الفتن: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ* لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ

---

1 سورة التوبة، الآية:42-43.

2 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،3/1662-1661.

3 سورة التوبة، الآية:43-44.

4 المرجع السابق ،3/1662.

أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ* وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[1].

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (تخلفوا مع الذين لا يستطيعون الغزو، فهذا مكانكم اللائق بالهمم الساقطة، والقلوب المرتابة، والنفوس الخاوية من اليقين)[2]. فخروجهم بكذبهم وإرجافهم في الصف المجاهد، وفتنتهم فيه، إنما لبث الخور والضعف والتخذيل والتفريق بين المؤمنين، لذا كره خروجهم، مراعاة لأوليائه،

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (ولكن الله يرعى دعوته ويكلأ رجالها المخلصين، كفى المؤمنين فتنة، فترك المنافقين المتخاذلين قاعدين: ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ والظالمون هنا معناهم "المشركون" فقد ضمهم كذلك إلى زمرة المشركين) [3].

لقد فضح الله مكرهم الخفي، ومؤامراتهم المتواصلة، ودسائسهم الدنيئة، وكشف خبث بواطنهم، وسعيهم بالفتنة ليس وليد خوفهم من شوكة في غزوة تبوك، بل من أول قدوم المسلمين المدينة،

يقول الإمام الرازي رحمه الله : (أي قبل وقع تبوك، أن اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي ﷺ) [4].

الصورة الرابعة: حب الشر للمؤمنين: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ* قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ* قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[5]

أمران في غاية البيان في وصف المنافقين، وطبيعة نفوسهم المريضة، فالأمر الأول أن أي حسنة تصيب المسلمين تسوؤهم، والأمر الثاني أن أي مصيبة تقع بالمسلمين تفرحهم.

---

1 سورة التوبة، الآية:46-49.

2 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1663/3.

3 المرجع السابق،1663/3.

4 **مفاتيح الغيب**،ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م)،67/16.

5 سورة التوبة، الآية:50-52.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (ذلك أنهم يأخذون بظواهر الأمور، ويحسبون البلاء شرًا في كل حال، ويظنون أنهم يحققون لأنفسهم الخير بالتخلف والقعود)[1]

إن المنافقين يتربصون بالمؤمنين تربص الغدر والخيانة والإغواء والفتنة والضلال، أما تربص المؤمنين بأعداء الله تعالى، هو النصر عليهم في الدنيا بأيدي المؤمنين بفضل الله تعالى، وإما عذاب الله بهم الآخرة، يقول الإمام الرازي رحمه الله: (اختلفوا في تفسير قوله: ﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ قيل: من عند الله أي بعذاب ينزله الله عليهم في الدنيا، أو بأيدينا بأن يأذن لنا في قتلكم. وقيل: بعذاب من عند الله، يتناول عذاب الدنيا والآخرة، أو بأيدينا بالقتل)[2].

الصورة الخامسة: عدم قبول نفقاتهم: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ* وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ* فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[3].

إنها محاولة التزلف والتقرب إلى المسلمين هي محاولة مكشوفة، لذا فضح الله صورتهم وكشف مدخول نفوسهم، وإن تخفوا في صفوف المسلمين، ففضحهم الله تعالى بذلك، لذا حذر المسلمين عموما ونهاهم عن النظر في أموالهم وأولادهم، فهي سبب هلاكهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:(ولقد كان أولئك المنافقون يدسون أنفسهم في الصف ، لا عن إيمان واعتقاد ، ولكن عن خوف وتقية ، وعن طمع ورهب، ثم يحلفون أنهم من المسلمين ، أسلموا اقتناعا ، وآمنوا اعتقادا ، فهذه السورة تفضحهم وتكشفهم على حقيقتهم ، فهي الفاضحة التي تكشف رداء المداورة وتمزق ثوب النفاق)[4].

---

1 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1664/3.

2 **مفاتيح الغيب**،ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م)،70/16.

3 سورة التوبة، الآية: 52-55.

4 سيد قطب، مرجع سابق،1666/3.

الصورة السادسة: الجبن، وحب الطعن بالمؤمنين: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ*وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[1].

إنها الصورة الغريبة لجبنهم وتخوفهم من القتل، وصورة الطعن في المسلمين، من خلال لمزهم وغمزهم وهمزهم، إضافة إلى تخذيلهم وإرجافهم، إنها صورتهم التي لن تتغير، حتى وإن حاول بعض الناس مداهنتهم، لأن طبيعتهم تفضحهم ولا تنفك عنهم.

يقول الشيخ وهبة الزحيلي : (هذه صور من أخلاق المنافقين تبين حقيقتهم، وتنبئ عن قلقهم ومخاوفهم المسيطرة على نفوسهم الضعيفة وتذبذبهم، فهم يحلفون بالله الأيمان الكاذبة بأنهم لمنكم، أي من جملة المسلمين، وهم في الواقع ليسوا منكم، فهم على غير دينكم، بل هم أهل شك وريبة ونفاق، ولكنهم قوم جبناء يخافونكم أيها المؤمنون فيحلفون، مظهرين الإيمان، مبطنين الكفر، ومسرّين النفاق، كما جاء في آية أخرى: ﴿وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ﴾)[2]،[3].

الصورة السابعة: البخل حب الاستهزاء بالمؤمنين: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ*يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ* وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ*لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ*الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ

---

1 سورة التوبة، الآية: 57-58.

2 سورة البقرة، الآية: 14

3 الزحيلي، د وهبة بن مصطفى ، **التفسير الوسيط** ، ط1،(دمشق: دار الفكر،1422هـ)،874/1.

الْفَاسِقُونَ* وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[1].

إنها صورة الرجس المقبوح الذي وصف الله تعالى هذا النسيج الغريب في المجتمع المسلم، (والصنف الدخيل الذين يثير الفتن ويفرق الصفوف ويثبط العزائم، إنهم المرجفون في المدينة، الطابور الخامس في كل مدينة، المتواجدون في كل زمان لتأجيج نار العداوة بين المسلمين)[2]، وهم الذين آذوا رسول الله ﷺ بالاستهزاء، وما زالوا على نفس النهج بما تمَّ وصفهم به.

يقول الإمام الرازي رحمه الله: (واعلم أنهم كانوا يسمون سورة براءة، الحافرة، حفرت عن قلوب المنافقين)[3]، ومع ذلك ورغم كل الشواهد التي تبين صدق نبوته ﷺ، وكذب ادعاءاتهم وافتراءاتهم، يستهزئون، فكان استهزائهم الكفر البواح الذي لا يحتاج إلى اعتذار، ﴿لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[4].

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (وعندما يصل السياق إلى هذا الحد في استعراض تلك النماذج من أقوال المنافقين وأعمالهم وتصوراتهم، يعمد إلى تقرير حقيقة المنافقين بصفة عامة، وعرض الصفات الرئيسية التي تميزهم عن المؤمنين الصادقين، فهم من طينة وطبيعة واحدة، منبعها سوء الطوية ولؤم السريرة، والغمز واللمز والنذالة والدس، والجبن، يعظمون تلك الفعال الخسيسة وأهلها، ويحتقرون المعروف وأهله)[5]، إنها صورتهم الوضيعة في أماكن جبروتهم، ويخفونها أمام تعاظم قوة المسلمين وسيادتهم.

الصورة الثامنة: أهل جحود ونكران: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[6].

---

1 سورة التوبة، الآية: 63-68.

2 الصابوني، محمد علي، **قبس من نور القرآن**،ط2،(دمشق: دار القلم ،1408هـ - 1988م)، 49/4 بتصرف.

3 **مفاتيح الغيب**،ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م)،96/16.

4 سورة التوبة، الآية: 65.

5 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1673/3، باختصار.

6 سورة التوبة، الآية: 74.

إنها صورتهم الكفرية المتعددة، في ثيابهم المتلونة، بطول ألسنتهم، وقلة أدبهم، ومع ذلك ما أعظم فضل الله تعالى، يترك باب التوبة مفتوحا أمام من أراد الانتقام من رسول الهدى ﷺ، يترك باب التوبة لهؤلاء الحاقدين الحاسدين، يعطيهم الفرصة تلو الأخرى، حتى الرمق الأخير، فإن تابوا فهو خيرٌ لهم وإن تولوا فليس لهم في الآخرة إلا أليم العذاب، وشديد العقاب.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (سيظل باب التوبة مفتوحا على مصراعيه، فمن شاء لنفسه الخير فليدلف، ومن أراد عكسه، فالعذاب الأليم في الآخرة، وانعدام الناصر والمعين في الدنيا، ولمن شاء أن يختار، وهو وحده الملوم)[1].

الصورة التاسعة: السخرية بالمؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[2].

إنها الطبيعة المتأصلة فيهم، الكبر والاحتقار والاستهزاء، إنه الحقد المدفون لكل خير، والمكنون في صدورهم، يظهرونه متى لاحت الفرصة المناسبة وغير المناسبة للطعن في المسلمين.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (ويا لهولها من سخرية وعاقبة، فمن شرذمة صغيرة هزيلة مريضة النفس، وسخرية الخالق الجبار تنصب عليهم وعذابه يترقبهم)[3]. ولسوء فعالهم وتوضيحا لصورتهم الخبيثة، نهى الله عن الاستغفار لهم، وسواء كثر استغفار الرسول ﷺ لهم، أو لم يستغفر، فلن يغفر الله لهم، فلا تنفعه شفاعة الشافعين، ولا دعاء المقربين ولو كان سيد المرسلين.

الصورة العاشرة: حب المال وإيثاره على كل شيء: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ*فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ*فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ

1 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1678/3، باختصار.

2 سورة التوبة، الآية: 79-80.

3 المرجع السابق،1678/3.

لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ*وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ*وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ*وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ*رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[1].

إنها الفضائح المتتالية، بتخلفهم فرحا لمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ ، ولم يكتف بذلك فحسب، بل كشف مستور قلوبهم ومكنون صدورهم بكراهيتهم للجهاد، وسعيهم المتواصل بالتخذيل والإرجاف للوقيعة بين المسلمين، ومن ثم يبين حقيقةً ينكرونها في أنفسهم، ألا وهي الجهل وعدم إدراكهم لحقائق الحياة وسننها، فقدموا الأموال والأولاد والنفس على الله ورسوله، وقدموا الدنيا على الآخرة، لذا وصفهم الله تعالى في أول المقطع: ﴿لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ وفي آخر المقطع: ﴿فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾.

يقول الإمام الطبري رحمه الله : (فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، في هذه الدنيا الفانية ولهوهم عن طاعة ربهم، سيبكون طويلا في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا، جزاءً على معصيتهم، وتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوهم وقعودهم في منازلهم خلاف رسول الله ﷺ، وبما كانوا يجترحون من الذنوب) [2]، لقد قطعتم بضحككم واستهزائكم، وتخلفكم عن الجهاد، ونفاقكم، كل أواصر العلاقة مع المسلمين، فلا يمكن أن يكون لشخوصكم المتقلبة أية قيمة، ولن يكون لكثرة أموالكم وأولادكم التي غرَّتْكُم سبب للصلاة عليكم، ولن يعمل لكم ولا إلى من خلفكم أي اعتبار لدى المؤمنين، وخاصة أنكم خذلتم بها المؤمنين وجهادِهم، فأموالكم وأولادكم نتاج أعمالكم الخبيثة، وتبع لرجسكم، فلا يمكن النظر فيها مهما عظمت.

يقول الإمام الطبري رحمه الله : (ولا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم فتصلي على أحدهم إذا مات وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله وولده، فإني إنما أعطيته ما أعطيته من ذلك لأعذبه بها

---

1 سورة التوبة، الآية: 81-87.

2 **جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق**: أحمد محمد شاكر،ط1،(مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م)،401/14.

في الدنيا بالغموم والهموم، بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات)[1].

لقد فضح الله استئذانهم بقعودهم مع العجزة والضعفاء، وهم الذين يملكون أسباب الجهاد، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (فإذا أنزلت سورة تأمر بالجهاد، جاء الذين يملكون وسائل الجهاد والبذل، لا ليتقدموا الصفوف كما تقتضي الضرورة والمقدرة، ولكن ليتخاذلوا ويكونوا مع النساء، دون أن يستشعروا ذلة القعود وهوان السلامة التي يطلبون من خلالها الدنية)[2].

الصورة الحادية عشر: أهل الرجس والجهالة: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ* أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ* وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾[3].

الصورة الأخيرة من صور المنافقين، صورة القلوب المريضة والمضطربة التي صَرَفَتْ وجوهها عن كتاب الله وسماع آياته، فصرفها الله عن الإيمان به وطاعته، إنها صورة الجهالة المتأصلة فيهم.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (من خلال استحضار تغامزهم غمز المريب، وهم يتسللون تسلل الخائن الحذر، تلاحقهم عين الذي لا يغفل ولا ينام، وهم منصرفون من عند رسول ﷺ)[4]، هذا السلوك الغريب يقابل بجميل عفو الله، بترك باب رحمته مفتوحا للجميع، إلا إن المنافقين المستكبرون بجهلهم وجحود نفوسهم ونكرانها لآيات الله تعالى، تزيدهم رجسا إلى رجسهم، لقد تمَّ التعرض لمعنى الرجس في معرض استعراض صفات المنافقين، ولكي تتم وضوح صورتهم، قارنها الله تعالى بصورة المستبشرين بآياته،

---

1 **جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق**: أحمد محمد شاكر،ط1،(مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م)،410/14-411.

2 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1684/3، بتصرف .

3 سورة التوبة، الآية: 124-127.

4 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1742/3، باختصار.

الذين خفقت قلوبهم بحب الله ورسوله، فاستشعروا عظمة الله، فزادتهم إيمانا مع إيمانهم، فشتان بين الثرى والثريا.

بعد ما استعرضت صور من فضائح المنافقين ، تبين فيما سبق أن القرآن في محاورته المباشرة للمنافقين قد تصداهم وواجههم ووبخهم ورد ظنونهم وفضح كيدهم، فقد بين القرآن أن المنافقين لا يحافظون على عهدهم وأنهم في الطاعات والعبادات متكاسلين وخصوصاً عن الصلاة الجماعة، وإعراضهم عن ذكر الله، واستهزائهم وسخريتهم بالمؤمنين، وموالاتهم لليهود والكافرين، وكذلك أمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف، وتعمدهم لاتهام المؤمنين بالفاحشة، والتشكيك في طهارة المجتمع المسلم، وتثاقلهم عن الجهاد في سبيل الله، وحسدهم وكذبهم على المؤمنين من الصفات الذميمة التي يتصف بها المنافقون.

ولهذا حذر القرآن الكريم من النفاق ومن صفات المنافقين في آيات كثيرة، ولذا فبلية الإسلام بالمنافقين شديدة، فهم أعظم خطرا وضررا من الكفار المجاهرين، كما أنهم أغلظ كفرا وأشد عذابا، لذلك كان للقرآن الكريم منهجا واضحا في التعامل مع المنافقين ومواجهة النفاق، وإن لم يتخذ المرء أسباب الوقاية اللازمة من ذلك المرض العضال فلا شك من الوقوع فيه حتما، وخاصة مع ازدياد الغفلة والجهل في الدين.

المطلب الثالث: الحلف عند المنافقين.

الحلف في القرآن: لقد وردت مادة (الحلف بمشتقاتها ثلاثة عشر مرة)[1] في كتاب الله تعالى، سبعة منها في سورة التوبة، وثلاثة في المجادلة، وواحدة في النساء والمائدة، وأمَّا التي في سورة القلم، فإنها تخص المشركين، وللمنافقين منها نصيب كبير.

الحلف لغة: الحَلْفُ: (القسم)[2]، (والعهد بين القوم)[3]، (والأيمان على الأولياء في الدم)[4].

الحلف الاشتقاقي: هو (اليمين وأطلق على الحلف لأنهم إذا تحالفوا أخذ كل بيمين صاحبه، واليمين في الشرع توكيد المحلوف عليه بذكر اسم الله أو صفة من صفاته عز وجل)[5].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاشتقاقي:

(لقد نهى الشارع عن اليمين الكاذبة وجعلها من الكبائر التي تستوجب غضب الله وتدخل صاحبها النار إذا لم يتب منها قبل مماته)[6].

فعن عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: (من كان حالفا، فليحلف بالله، أو ليصمت) [7] ،

الآيات التالية ستكشف لنا طبيعة المنافقين وسلوكهم.

الآية الأولى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [8] .

---

1 عبد الباقي ،**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ،د.ط،(القاهرة : دار الحديث)،215،بتصرف.

2 الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، د.ط،(دار ومكتبة الهلال)، مادة: " قسم " ،231/3.

3 الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق : يوسف الشيخ محمد،ط5،(بيروت : دار النموذجية، 1420هـ - 1999م)،78/1.

4 المرجع السابق،253/1.

5 الجزيري، عبد الرحمن بن محمد، **الفقه على المذاهب الأربعة**،ط2،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ - 2003 م)،393/5.

6 المرجع السابق،393/5.

7 **صحيح البخاري** ، كتاب الشهادات ، باب كيف يستحلف ، 180/3، رقم الحديث 2679.

8 سورة التوبة، الآية: 42.

(نزلت هذه الآية الكريمة في فضح المنافقين الذين تخلَّفُوا عن غزوة تبوك)[1]، لبيان مخازيهم، باستعظام غزو الروم، واستعدادهم للأعذار بالحلف المهلك لنفوسهم.

الآية الثانية: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [2] . يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ ..﴾ بكل أدوات التوكيد ، ليداروا ما في نفوسهم ، وليتقوا انكشاف طويتهم ، وليأمنوا على ذواتهم ، وإنها لصورة زرية للجبن والخوف والملق والرياء، لا يرسمها إلا هذا الأسلوب القرآني العجيب) [3].

الآية الثالثة: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [4]. يستخدم المنافقون دوما ضمان سلامتهم في الدنيا على حساب الآخرة، ولخوفهم من المؤمنين، يحلفون لهم ليرضوهم، ولو كانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر، يقول الإمام الرازي رحمه الله : (اعلم أن هذا نوع آخر من قبائح المنافقين، وهو إقدامهم على اليمين الكاذبة. إنهم حلفوا على أنهم ما قالوا ما حكي عنهم، ليرضوا المؤمنين بيمينهم، وكان من الواجب أن يرضوا الله بالإخلاص والتوبة)[5].

الآية الرابعة: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [6]. في هذه الآية يفضح الله تعالى بعض المنافقين بكلمة كفر نطقوها، وإذا بهم يحلفون أنهم ما قالوها، فتزداد فضيحتهم، ويزداد خزيهم وعارهم، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (والنص في عمومه يستعرض حالة المنافقين في كثير من مواقفهم، ويشير إلى

---

1 **مفاتيح الغيب**،ط1(بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م)،58/16.

2 سورة التوبة، الآية: 56.

3 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1666/3.

4 سورة التوبة، الآية: 62.

5 **الرازي**، مرجع سابق،95/16.

6 سورة التوبة، الآية: 74.

ما أرادوه مرارا من الشر للرسول ﷺ وللمسلمين)[1]، وهذا ما هو حاصل في يومنا هذا، وما أكثر حلفائهم، ولو استعرضنا حلفائهم لضاق بنا المقام والمكان.

الآية الخامسة والسادسة: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ*يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [2].

في آيتين متتاليتين، يكشف الله تعالى خبث نواياهم وسوء طويتهم في إصرارهم واستعدادهم العجيب على استمرار طعنهم وغدرهم في المسلمين، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (إنهم يطلبون من المسلمين العفو والصفح عن قعودهم، ليتدرجوا إلى طلب الرضا منهم، ليضمنوا السلامة في المجتمع المسلم، وضمان تعاملهم بالإسلام، ليجنبوا أنفسهم الغلظة التي أمر الله معاملتهم بها، إن طلب رضا المسلمين بالحلف المغلظ لن يجدي شيئا أمام غضب الله عليهم، ولن تنفعهم أعذارهم إلا الرجوع عن فسقهم، وبذلك يتم تقرير العلاقات النهائية بين المسلمين والمنافقين، كما قررها سابقا مع المشركين وأهل الكتاب)[3].

الآية السابعة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [4] .

قدم المنافقون الكثير من الأعذار والمسوغات لتخلفهم عن الجهاد في الآيات السابقة، وفي هذه الآية يحلفون وبالتأكيد على أن أعمالهم حسنة وخيّرة، إلا أن الله يفضحهم، ويكشف سر أعمالهم الخبيثة، وخاصة علاقاتهم الخفية مع أهل الكتاب، يقول الإمام الرازي رحمه الله: (أي ليحلفن ما أردنا ببنائه إلا الفعلة الحسنى وهو الرفق بالمسلمين في التوسعة على أهل الضعف والعلة والعجز عن المصير إلى مسجد رسول الله ﷺ وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة الممطرة والليلة

---

1 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1677/3.

2 سورة التوبة، الآية: 95-96.

3 المرجع السابق،1696/3-1697 باختصار.

4 سورة التوبة، الآية: 107.

الشاتية ثم قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ والمعنى أن الله تعالى أطلع الرسول على أنهم حلفوا كاذبين)[1].

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (وتكشف عن نهاية كل محاولة خادعة تخفي وراءها نية خبيثة، وتطمئن العاملين المتطهرين من كل كيد يراد بهم، مهما لبس أصحابه مسوح الصالحين)[2].

لم يكتف المنافقون بالحلف لتسويغ أفعالهم الدنيئة، بل ويحلفون كذبا وهم يعلمون، قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [3] ، ويوم القيامة يحلفون لله تعالى أنهم على خير.

قال تعالى: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ [4] ، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله : (من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه) [5]، فلقد ماتوا على نفاقهم فهل سيبعثون على غير نفاقهم.

بعد ما درست طبيعة المنافقين نستطيع أن نستنتج : أنهم لا يفصحون عن ولاءاتهم الحقيقية، إنما يتظاهرون بين المسلمين ولدى القيادة الإسلامية بمظهر المخلص، حتى أنهم يتكلفون أكثر من غيرهم في ادعاء الإيمان والإخلاص خشية الفضيحة، إنهم ليسوا على شيء من الإسلام، وليسوا من المسلمين، إنما يريدون بذلك تضليل الآخرين عن أهدافهم الحقيقية لعلمهم بأن وعي الأمة بواقعهم كفيل بإسقاطهم وإحباط مؤامراتهم.

---

1 **مفاتيح الغيب**،ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م)،154/16.

2 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1711/3.

3 سورة المجادلة ، الآية: 14.

4 سورة المجادلة ، الآية: 18.

5 **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة،ط2،(دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م)،52/8.

الفصل الثاني : الجهاد في سبيل الله من خلال سورة التوبة.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الجهاد وأنواعه وحكمه.

المبحث الثاني: الجهاد ضرورة أمنية وحاجة إسلامية.

المبحث الأول: تعريف الجهاد وأنواعه وحكمه.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الجهاد لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: أنواع الجهاد وحكمه.

ويشتمل على ثلاثة فروع:

الفرع الأول: أنواع الجهاد.

الفرع الثاني: حكم الجهاد في سبيل الله تعالى.

الفرع الثالث: الجهاد فريضة إلهية وسنة كونية.

المطلب الثالث: أهمية الجهاد وأهم فوائده من خلال سورة التوبة.

المطلب الأول: تعريف الجهاد لغة واصطلاحا.

الجهاد لغة: (الجَهْدُ: ما جَهَدَ الإنسانَ من مرضٍ أو أمرٍ شاق، فهو مَجْهُودٌ، والجُهْدُ: شيءٌ قليلٌ يعيشُ به المقلُّ على جَهْدِ الْعَيْش، والجَهْدُ بلوغك غاية الأمر الذي (لا) تألوا عن الجَهْد فيه، وأَجْهَدَ القوم علينا العداوة، وجاهدتُ العدوَّ مجاهدة، وهو قتالك إياه)[1].

وقال الإمام الراغب الأصفهاني[2] رحمه الله عن حقيقة الجهاد : (استفراغ الوسع في مدافعة العدو، والجِهَاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى : ﴿وَجاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ﴾ [3] ، ﴿وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [4] ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [5] ،والمجاهدة تكون باليد واللسان ، قال صلّى الله عليه وسلم "جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم"[6]،)[7].

الجهاد اصطلاحا : فهو على معنيين، أحدهما عام والآخر خاص:

فأما المعنى العام فيشمل العمل بالإسلام والدعوة إليه والدفاع عنه، وإعزازه بكل ممكن.

---

1 الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، د.ط،(دار ومكتبة الهلال)، مادة: " جهد"،386/3.

2 هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، توفي سنة 502 هـ - 1108 م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،255/2.

3 سورة الحج، من الآية: 78.

4 سورة التوبة، من الآية: 41.

5 سورة الأنفال، من الآية: 72.

6 **سنن أبي داود** ، كتاب الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو ، 13/2، رقم الحديث 2504.

7 الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق : صفوان عدنان داودى، د.ط،(بيروت: دار العلم الدار الشامية، 1412 هـ)،208/1.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] رحمه الله : (هو بذل الوسع وهو القدرة في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق)[2].

وقال في موضع آخر : (وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان)[3].

وأما المعنى الخاص للجهاد فيراد به جهاد الكفار على وجه الخصوص وهذا هو المراد عند إطلاق الجهاد في اصطلاح الفقهاء.

والذي يظهر لي-الباحث- بالنسبة لمعنى الجهاد الخاص، هوما عرفه الإمام ابن عرفة[4] رحمه الله : (بأنه قتال مسلم كافرا غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله أو حضوره له أو دخول أرضه)[5].

وهذا كله يوضح مدى اتساع دائرة الجهاد، وأنها ليست محصورة في القتال جميع الكفار، بل يخرج الكافر الذي له عهد، سواء من المحاربين إذا دخل بأمان، وأن من قاتل لغير هذا المعنى لا يدخل في معنى الجهاد.

---

1 هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الامام، شيخ الاسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الاسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة 712 هـ واعتقل بها سنة 720 وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، سنة 728 هـ = 1328 م. انظر: لزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،144/1.

2 ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق : أنور الباز – عامر الجزار،ط3(دار الوفاء 1426 هـ / 2005 م)،192/10-193.

3 ابن تيمية، مرجع سابق،191/10.

4 هو محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، مولده ووفاته فيها، توفي سنة 803هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، مرجع سابق، 43/7.

5 الحطاب الرُّعيني، شمس الدين أبو عبد الله ، **مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل**، تحقيق : زكريا عميرات،د.ط،(دار عالم الكتب، 1423هـ – 2003م)،535/4-536.

المطلب الثاني: أنواع الجهاد وحكمه.

الفرع الأول: أنواع الجهاد:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (الجهاد واجب على المسلمين عموما على الكفاية منهم، وقد يجب أحيانا على أعيانهم)[1]، واعتبر ترك الجهاد من أعظم الظلم، فقال: (فظلمُ المقَاتِلَةِ بترك الجهاد عن المسلمين من أعظم ظلم يكون)[2]، لأن ترك الجهاد يؤدي إلى استباحة الحرمات، ولأن القتال دفاعا عنها أمر فطري، أوجبته جميع الشرائع الوضعية السابقة والإلهية.

أولا جهاد الطلب:

وهو تطلب الكفار في عقر دارهم ودعوتهم إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا الخضوع لحكم الإسلام ، وهذا النوع فرض كفاية على المسلمين ، قال الله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [3].

وقال تعالى : ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [4]. وقال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [5]. وقال تعالى : ﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [6].

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[7] .

---

1 **فقه الجهاد**، تهذيب وتعليق: زهير شفيق الكبي، د.ط،(بيروت : دار الفكر العربي، 1992م)،26.

2 المرجع السابق،27.

3 سورة الأنفال ، الآية: 39.

4 سورة التوبة ، الآية: 5.

5 سورة التوبة ، الآية: 36.

6 سورة التوبة ، الآية: 41.

7 **صحيح البخاري** ، كتاب الإيمان ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، 14/1، رقم الحديث 25. **وصحيح مسلم**، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، 53/1، رقم الحديث 22.

ثانيا: جهاد الدفاع:

فإذا نزل الكفار ببلاد المسلمين واستولوا عليها ، أو تجهزوا لقتال المسلمين فإنه يجب على المسلمين قتالهم حتى يندفع شرهم ، ويرد كيدهم . وجهاد الدفاع فرض عين على المسلمين بإجماع العلماء .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعاً فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر وبين طلبه في بلاده) [1].

قال الإمام القرطبي رحمه الله (إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار ، أو بحلوله بالعقر فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ، ويخرجوا إليه خفافا وثقالا ، شبابا وشيوخا، كل على قدر طاقته ، من كان له أب بغير إذنه ، ومن لا أب له . ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر ، فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا ، على حسب ما لزم أهل تلك البلدة ، حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم ، وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم ، وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم ، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل بها العدو عليها واحتل بها سقط الفرض عن الآخرين . ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضا الخروج إليه حتى يظهر دين الله ، وتحمى البيضة ، وتحفظ الحوزة ، ويخزى العدو ، ولا خلاف في هذا) [2].

الفرع الثاني: حكم الجهاد في سبيل الله تعالى.

الجهاد فرض كفاية: (فَرَضَ الله الجهاد في السنة الثانية للهجرة، وهو فرض كفاية، إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقين) [3].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [4].

---

1 **الاختيارات الفقهية**، تحقيق: علي بن محمد بن عباس البعلى الدمشقي، د.ط،(بيروت: دار المعرفة،1397هـ/1978م)، 608/1.

2 **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،ط2،(القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964 م)،151/8-152.

3 ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، **المغني**، ط1،(بيروت: دار الفكر، 1405هـ)،359/10.

4 سورة التوبة ، الآية: 122.

ويكون الجهاد فرض عين في ثلاث حالات:

1. إذا حضر المسلم المكلف القتال والتقى الزحفان وتقابل الصفان، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [1]. وقال سبحانه:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ، وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [2]. وذكر النبي ﷺ أن التولي يوم الزحف من السبع الموبقات [3].

2. إذا حضر العدو بلدًا من بلدان المسلمين تعين على أهل البلاد قتاله وطرده منها، ويلزم المسلمين أن ينصروا ذلك البلد إذا عجز أهله عن إخراج العدو ويبدأ الوجوب بالأقرب فالأقرب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [4].

3. إذا استنفر إمام المسلمين الناس وطلب منهم ذلك، قال الله تعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [5]. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونيَّة، وإذا استُنفِرْتُم فانْفِروا" [6]. وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [7].

فقد قرره العلماء من أهل العلم أصل الجهاد فرض كفاية ، لكنه يكون فرض عين اذا وافقه إحدى هذه الحالات الثلاث المذكورة، فيكون الجهاد فرضا على الأعيان.

---

1 سورة الأنفال ، الآية: 45.

2 سورة الأنفال ، الآية: 15-16.

3 **صحيح البخاري** ، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا،10/4،رقم الحديث 2766، **وصحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها،92/1، رقم الحديث 89.

4 سورة التوبة ، الآية: 123.

5 سورة التوبة ، الآية: 41.

6 **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير،15/4 رقم الحديث، 2783، **وصحيح مسلم**، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها،986/2، رقم الحديث، 1353.

7 سورة التوبة ، الآية: 38.

الفرع الثالث: الجهاد فريضة إلهية وسنة كونية.

تتحدث سورة التوبة عن سنن أربعة، وهي:

السُّنَّة الأولى: ضرورة قتال الكفار والمشركين والبغاة: لقول تعالى: ﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [2]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ...﴾ [3].

السُّنَّة الثانية: دينُ الله لا يستطيع أحدٌ أن يطفئ نوره، لقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [4] .

السُّنَّة الثالثة: دين الله منصور، قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [5] .

السُّنَّة الرابعة: هلاك الظالمين، قال الله تعالى:﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [6].

---

1 سورة التوبة ، من الآية: 13.

2 سورة التوبة ، الآية: 29.

3 سورة التوبة ، من الآية: 123.

4 سورة التوبة ، الآية: 32.

5 سورة التوبة ، الآية: 40.

6 سورة التوبة ، الآية: 70.

المطلب الثالث: أهمية الجهاد وأهم فوائده من خلال سورة التوبة.

للجهاد فوائد جمَّة وأهمية قصوى وأحكاما جليلة تناولتها سورة التوبة، أهمها:

- إعلاء كلمة الله تعالى ورايته، وأن تكون كلمة الذين كفروا السفلى، وهذا من أهم الجهاد وغاياته.
- الجهاد هو: دلالة على سرعة الامتثال لأوامر الله، وصدق الإيمان الحقيقي.
- فَضْلُ اللهِ أن تكون الغلبة والنصر للمسلمين، ومن هذا الفضل ضمان للمغلوب توبة ومغفرة من الله بدخولهم في دين الله، واعترافا من قبلهم بالوجود الإسلامي ليكون أمراً واقعا، قال تعالى: ﴿..فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [1] ، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (فما كان أحدهم ليعلن توبته ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة إلا وهو يعني الإسلام كله، ويعني استسلامه له ودخوله فيه)[2].
- يوفر الجهاد للمشركين الأمان، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [3]. (إذا استجارك من أمرناكم بقتاله (فأجره)، أي فآمنه ودافع عنه، من يقصده بسوء)[4]، ويرد كيد الظالمين، ويردع بسيف الحق كل من تسول له نفسه بالمسلمين شرا أو سوءً.
- تستقيم أمور الدولة بالجهاد ويكون لها الهيبة والسيادة، فلا يمكن أن يكون لدولة سلطان، وهي منتهكة الحدود، ولا قيمة لعهودها ومواثيقها، إن لم تحفظ بالجهاد حدودها، قال تعالى: ﴿كَيْفَ

---

1 سورة التوبة ، الآية: 5.

2 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1602/3.

3 سورة التوبة ، الآية: 6.

4 البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ -1995م)،382/8. 1995م)،382/8.

يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [1].

- يرد الله العدوان بالجهاد وبه يدفع الأذى وتسترد الحقوق، قال تعالى: ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [2]، يقول الإمام الرازي رحمه الله : (واعلم أنه تعالى ذكر ثلاثة أسباب موجبة لقتالهم، نكثهم العهد، وهموا بإخراج الرسول، وهم بدءُوكم أول مرة)[3].

- يعذب الله تعالى الكافرين بالمجاهدين، ويتحقق بهم النصر، وينزل سخطه على الكافرين، ويخزيهم، ويشف صدور قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم بتوبتهم، ويدخلهم في رحمته، ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ* وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [4] ، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (قاتلوهم يجعلكم الله ستار قدرته، وأداة مشيئته، فيعذبهم بأيديكم ويخزهم بالهزيمة وينصركم عليهم، ويشف غيظكم المكظوم، ويرد بعض المشركين إلى الإيمان، وتنالون أجر جهادكم، وينال الإسلام قوة جديدة بهؤلاء المهتدين التائبين)[5].

- يمحص الله بالجهاد الصادقين من الكاذبين والمؤمنين من المنافقين، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [6] ، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (إنه لمن مصلحة الجماعة والعقيدة أن تهتك

---

1 سورة التوبة ، الآية: 7.

2 سورة التوبة ، الآية: 13.

3 **مفاتيح الغيب**،ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م)،187/15.

4 سورة التوبة ، الآية: 14-15.

5 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1612/3.

6 سورة التوبة ، الآية: 16.

الأستار وتكشف الولائج، فيمتاز المكافحون المخلصون، ويكشف المدارون الملتوون، ويعرف الناس كلا الفريقين على حقيقته)[1].

- ينال المجاهد أعظم الدرجات بسبب إيثار الله ورسوله على الدنيا وما فيها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ* يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ*خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [2]، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (يضع الله حبه وحب رسوله وحب الجهاد في سبيله في كفة، والدنيا وما فيها من نفس ومال في كفة، وللمسلم الخيار)[3].

وضع الله الجهاد في أعظم المراتب، قال تعالى: ﴿.. أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ..﴾ [4] ، فقد جعله مقروناً مع الله ورسوله في هذه الآية، لذلك فهو ذروة سنام الإسلام، فعن معاذ بن جبل[5] ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟) قلت: بلى يا رسول الله، قال: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد)[6].

- سببٌ لتوبة الكثير من الناس وكذلك الدخول في دين الله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [7]. يقول الإمام الرازي رحمه الله: (إنه تعالى قد يتوب على بعضهم

---

1 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1613/3.

2 سورة التوبة ، الآية: 20-22.

3 سيد قطب، المرجع السابق ، 1615/3.

4 سورة التوبة ، الآية: 24.

5 هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الانصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أسلم وهو وهو فتى، وشهد العقبة مع الانصار السبعين، وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه رسول الله، ولما أصيب أبو عبيدة (في طاعون عمواس) استخلف معاذا، وأقره عمر، فمات في ذلك العام 18 هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،7/ 258.

6 **سنن الترمذي** ،كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في حرمة الصلاة ،12/5 رقم الحديث، 2616،صححه الألباني.

7 سورة التوبة ، الآية: 27.

بعضهم بأن يزيل عنهم الكفر ويخلق فيهم الإسلام، ويمن عليهم بالتوبة التي حصلت لهم من قبل)[1]، ولقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ﴾ [2].

- يُؤَمِّنُ اللهُ بالجهاد رزق المسلمين، فلا مسوغ شرعي أن يخاف المسلم عَيْلَةً، فالله عليم بأحوال الناس، حكيم بما ينفعهم ويلزمهم، فقد تكفل جل في علاه بذلك، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ* قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [3]، يقول الشيخ البقاعي رحمه الله : (ولما كان سبحانه الملك الغني القادر القوي الذي لا يجب لأحدٍ عليه شيء، فقد كفل الله للإنسان رزقه)[4].

فمن توكل على الله حق التوكل رزقه الله كما يرزق الطير، فعن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا)[5].

بعد ما ذكر الباحث من أهمية الجهاد نستنتج منه، أن المقصود من الجهاد رحمة للناس، وإنقاذهم مما هم فيه من الباطل، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإخراجهم من ظلمات الكفر والشرك بالله والعبودية لغيره إلى عبادته وحده، وإلى الدخول في عدل الإسلام وسعة الإسلام، وإلى الدخول في أسباب النجاة والسعادة.

---

1 **مفاتيح الغيب**،ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م)،19/16.

2 سورة التوبة ، الآية: 118.

3 سورة التوبة ، الآية: 28-29.

4 **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ -1995م)،433/8.

5 **سنن الترمذي** ،كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ ، باب في التوكل على الله، 573/4 رقم الحديث،2344.

المبحث الثاني: الجهاد ضرورة أمنية وحاجة إسلامية.

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أوجه الشبه والاختلاف بين اليهود والنصارى.

المطلب الثاني: خطورة التشبه بأهل الكتاب، وتتبعهم.

المطلب الثالث: الجهاد ماض إلى قيام الساعة.

المطلب الرابع: النتائج السلبية لترك الجهاد في سبيل الله.

المطلب الخامس: نصر الله قائم بجهاد المخلصين.

المطلب السادس: عوامل النصر والأثر التربوي على المجاهدين.

ويشتمل على أربعة فروع :

الفرع الأول: عوامل النصر.

الفرع الثاني: الأثر التربوي على سلوك المسلم أثناء جهاده.

الفرع الثالث: الأخلاق التربوية أثناء المعركة.

الفرع الرابع: الآثار المترتبة على الخشية من الناس دون الخشية من الله تعالى.

المطلب الأول: أوجه الشبه والاختلاف بين اليهود والنصارى من خلال السورة.

اليهود والنصارى أهل كتاب سماوي، نقاط الالتقاء بينهم كثيرة، أهم ما يجمعهم عداوتهم للمسلمين، ونقاط الاختلاف أكثر من أن تحصى، إلا أنهم تناسوها حسدا من عند أنفسهم لدين الله تعالى، وحبا في عداوتهم للمسلمين.

بداية لا بد من تعريف اليهودي والنصراني، لنتعرف على طبيعة كل واحد منهم وسلوكه.

(فاليهودي وحسب القانون الإسرائيلي هو: من كانت أمه يهودية، أو جدة أمه أو جدة جدته يهودية بالدين، أو تحول شخص إلى اليهودية بطريقة تُرْضِي السلطات الإسرائيلية)[1].

أما النصارى فقد بدلوا وغيروا الكثير، (لن تمض بضع سنين على رفع المسيح عليه السلام حتى أخذت مظاهر الشرك والزيغ والإنحراف تتسرب إلى معتقدات الفرق المسيحية، فانقسم المسيحيون حينئذ إلى طائفتين، طائفة جنحت بعقائدها إلى الشرك بالله، وطائفة حافظت على التوحيد)[2].

وكشف الله تعالى سوء سلوكهم، فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [3] .

وكشف عن فساد معتقدهم فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [4] ، ثم حذَّرهم فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [5].

لقد اجتمعت في اليهود والنصارى عداوة المسلمين، فأظهروا حقدهم الدفين من خلال حروبهم المتتالية، ومذابحهم البشعة، لقد تناسى الطرفان خلافاتهم القديمة، أمام حقدهم الأسود على الإسلام والمسلمين، وأوضح الله تعالى أن اليهود والنصارى على السواء يكنون العداوة بعدم رضاهم على المسلمين إلا

---

1 إسرائيل شاحاك، **التاريخ اليهودي والدين اليهودي**،د.ط،(مؤسسة ينابيع للإعلام، 2001م)،8.

2 وافي، د.على عبد الواحد وافي، **الأسفار المقدسة** ، د.ط،(القاهرة: ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر- 1996م)، 120-121.

3 سورة آل عمران ، الآية: 78.

4 سورة المائدة ، الآية: 17.

5 سورة المائدة ، الآية: 72.

باتباع ملتهم، فقال: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [1]. يقول الإمام الشوكاني[2]رحمه الله : (ليس غرضهم ومبلغ الرضا منهم ما يقترحونه عليك من الآيات، ويوردونه من التعنتات، فإنك لو جئتهم بكل ما يقترحون وأجبتهم عن كل تعنت لم يرضوا عنك، ثم أخبره بأنهم لن يرضوا عنه حتى يدخل في دينهم، ويتبع ملتهم) [3].

ومن خلال الكثير من الآيات القرآنية، وتحديدا سورة التوبة، يظهر وجه الشبه الكبير في المعتقد والسلوك والعداوة بين اليهود والنصارى:

أولا: أمر الله بقتالهم على السواء، وبأخذ الجزية منهم عنوة وهم أذلة صاغرون، ليتبين عدم وجود فارق في عداوتهم للمسلمين، قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [4]. يقول الأستاذ رشيد رضا[5]رحمه الله : (لا يؤمنون بالله تعالى على الوجه الحق، ولا باليوم الآخر، ويتبعون تقاليد وجدوا عليها آباءهم وأحبارهم ورهبانهم)[6].

ثانيا: يفضح الله عقائد أهل الكتاب الفاسدة، حيث تتوالى أوجه الشبه بينهما وأخطرها إدعاء كل منهما الولد لله . معاذ الله . وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [7] .

---

1 سورة البقرة ، الآية: 120.

2 هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، والشوكاني: نسبة إلى عدني شوكان أو إلى هجرة شوكان، والصنعاني: نسبة إلى صنعاء، إذ فيها نشأ، وفيها توفي ودفن، في 26 جمادى الآخرة من سنة 1250 هـ رحمه الله تعالى. انظر : الشوكاني، **فتح القدير**،ط1،(بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - 1414 هـ)،1/5-10 باختصار.

3 الشوكاني، مرجع سابق،157/1.

4 سورة التوبة ، الآية: 29.

5 هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني البغدادي الاصل،توفي بالقاهرة سنة 1354 هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،6/ 126.

6 **تفسير المنار**، محمد رشيد بن علي، د.ط،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م)،828/10.

7 سورة التوبة ، الآية: 30.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (إن المقصود بها أن قولهم ببنوة أحد لله، تماثل قول المشركين العرب ببنوة الملائكة لله)[1]،

ويقول الإمام الرازي رحمه الله : (قول النصارى المسيح ابن الله يضاهي قول اليهود عزير ابن الله، وأن هذا القول من اليهود والنصارى يضاهي قول المشركين بنات الله، فتشابهوا حتى في انصرافهم عن الحق بعد وضوح الدليل) [2]، وفي ذلك قمة إفكهم وافترائهم.

ثالثا: كذلك تشابهوا في اتخاذ الأحبار: (علماء اليهود)، والرهبان: (علماء النصارى)، أربابا من دون الله، أطاعوهم في معصية الله فضلوا وأضلوا، (فعن عدي ابن حاتم[3]، قال أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: (يا عدي اطرح هذا الوثن)، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾ [4] ، قال: أمَّا إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا وإذا حرَّموا شيئا حرَّموه)[5].

وهذه الطاعة التي تخرج المرء من دينه وهو يعلم أو لا يعلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [6]، لذلك حذر النبي ﷺ من تتبع وطاعة أهل الكتاب في أي شيء.

رابعا: من أوجه الشبه بين اليهود والنصارى سعيهم في محاربة الإسلام والمسلمين، ومحاولاتهم هذه لم تقتصر على زمن وبلد دون آخر، بل تجاوزت مؤامراتهم وحروبهم ضد المسلمين حدود الزمان والمكان من أول يوم ظهر الإسلام فيه.

تشهد على ذلك صفية بنت حيي بن أخطب[7]، وتخبر ببداية المكر اليهودي على الإسلام والمسلمين وعداوتهم، فتقول: (كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا

---

1 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1640/3.

2 **مفاتيح الغيب**،ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م)،29/16.

3 هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، أبو وهب وأبو طريف: أمير، صحابي، من الاجواد العقلاء. كان رئيس طيئ في الجاهلية والاسلام، عاش أكثر من مئة سنة. وهو ابن حاتم الطائي، توفي سنة 68هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،220/4.

4 سورة التوبة ، من الآية: 31.

5 **سنن الترمذي** ،كتاب القراءات عن رسول الله ، باب ومن سورة التوبة ، 278/5 رقم الحديث،3095، (حسنه الألباني).

6 سورة آل عمران ، الآية: 100.

7 هي صفية بنت حيي بن أخطب، من الخزرج: من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت في الجاهلية من ذوات الشرف. تدين باليهودية، من أهل المدينة. تزوجها سلام ابن مشكم القرظي، ثم فارقها فتزوجها كنانة ابن الربيع النضري، وقتل عنها يوم خيبر. وأسلمت، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفيت في المدينة سنة 50 هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،3/ 206.

أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليَّ واحدٌ منهما، مع ما بهما من الغمِّ. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله قال أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت)[1].

إن محاولاتهم لم ولن تتوقف، بل جهدهم دؤوب، وسعيهم حثيث لإطفاء نور الله تعالى، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ*هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [2].

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (إن أهل الكتاب لا يقفون عند حد الانحراف عن دين الله، وعبادة الأرباب، وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر، إنما يعلنون الحرب عليه، ويريدون إطفائه، بكل الأكاذيب والدسائس والفتن والوقوف سدا في وجهه، وهو الواقع على مدار التاريخ. وهذا التقرير وإن كان يراد به استجاشة قلوب المؤمنين، إلا أنه يصور طبيعة الموقف الدائم لأهل الكتاب من نور المتمثل في دينه الحق الذي يهدي الناس بنور الله)[3].

خامسا: إضافة إلى صدهم عن سبيل الله تعالى، فإنهم يأكلون أموال الناس بالباطل، والغريب العجيب أن الذي يأكل الأموال بالباطل هم سادتهم وكبراؤهم أحبارهم ورهبانهم، ليبين مدى التشابه العجيب بين أئمة الكفر في ضلالهم وفسقهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [4].

---

1 ابن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد، د.ط،(الناشر دار الجيل، 1411هـ)، 52/3.

2 سورة التوبة ، الآية: 32-33.

3 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1643/3، باختصار وتصرف.

4 سورة التوبة ، الآية: 34.

ويقول الشيخ البقاعي رحمه الله : (أقبل الله سبحانه على أهل وده، متلطفا إياهم بمناداتهم باسم الإيمان الذي أسسه على الإنفاق، لا على التحصيل بحق، فكيف بمن يفترض أن يكونوا قيِّمِين على ذلك، إشارة إلى تحقير الأحبار والرهبان بأنهم يفعلون ما ينافي ما أقاموا أنفسهم فيه، بأخذ الرشى وأنواع التصيد)[1] .

1 **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ -1995م)، 3 /305 باختصار.

المطلب الثاني: خطورة التشبه بأهل الكتاب، وتتبعهم.

إن إعلان البراءة من المشركين يتطلب قوة سيادية على الذات بتمام العبودية لله تعالى، وامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، إضافة إلى القوة المادية والمعنوية التي تمكن لفرض شرط البراءة من المشركين وإعلان الحرب عليهم.

لذلك نجد أن سياق الآيات توصلت إلى الحقائق التالية:

- لا بد من معرفة الحكم الشرعي لإقامة العلاقات مع المشركين وتحديدها.
- التحذير من موالاة المشركين، وخصوصا ذوي القربى منهم، أو إيثارهم على الله ورسوله والجهاد في سبيله، أو تقريبهم لما يترتب على مولاتهم من أخطار لا تحمد عقباها.
- التحذير من غرور النفس، والاغترار بها أو بشيء من أسباب القوة الدنيوية.
- الطمأنينة والرضا من أسباب الوصول إلى رحمة الله تعالى ورضوانه.
- النصر والعزة والتمكين نتيجة الرضا بحسن امتثال أوامر الله تعالى.
- لا بد من جهاد من توفّرت فيه أسباب عداوة المسلمين وإظهارها.
- التحذير من التشبه بأفعال وسلوك اليهود والنصارى، وتتبع خطواتهم.

فكل مسلم لا يبرأ من المشركين، أو يواليهم ويؤثرهم على أبناء دينه، يتولد في نفسه حبهم، مما يجعله متعلقا بأسباب الدنيا الظاهرة، المتمثلة بقوة من يواليهم المادية، لذلك تظهر حميم العلاقة بينهم وبين أهل الكتاب التي بيَّنَ الله خفايا هذه العلاقة وأسرارها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ*يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[1].

(وإنما قرن الله تعالى بين اليهود والنصارى وبين الكانزين للمال، تغليظا عليهم، وتنبيها على أن من يأخذ السحت من أهل الكتاب، ومن لا يعطي من المسلمين من طَيِّبِ ماله)[2].

1 سورة التوبة ، الآية: 34-35.

2 الصابوني، **قبس من نور القرآن**،ط2،(دمشق: دار القلم ،1408هـ - 1988م)، 31/2.

المطلب الثالث: الجهاد ماض إلى قيام الساعة.

إن لكل منهج ونظام ثوابت ومتغيرات، فثوابت ديننا وأسسه لا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا بتغير من يحمل لواءه ورايته، لأنه يحمله من خلال إيمان لا يرقى إليه شك، فأصبحت تلك الثوابت كالجبال الراسيات، وعلامات يهتدي بها كل من يحمل راية هذا الدين .

وأما المتغيرات فهي متحركة فرعية في المنهج لا في المبدأ، تتغير بتغير الزمان والمكان حسب حاجات الأشخاص بما لا يخالف الثوابت، هذه المتغيرات لها ضوابط تخضع إلى تقدير المجتهدين بالأدلة، وقابلة للحوار والنقاش، دون المساس بالثوابت والأصول.

لذلك نصَّت الشريعة على نصوصٍ ثابتة ليكون الجهاد شعاراً وراية ورمزاً لنشر هذا الدين الحنيف واسترداداً للحقوق ودفعاً للظالمين والمعتدين.

إن أول هذه الثوابت وأهمها الجهاد الذي عليه تقوم أسس الدولة الحرة صاحبة السيادة، لتكون مهابة الجانب، ليعبد الله وحده وتكون كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [1] ، لذا لم يوكل الله تعالى الجهاد لأحدٍ ليحافظ عليه، بل أوكل حفظه لنفسه، فصار جزءا من عقيدتنا وكتابنا.

إن الجهاد فريضة حاضرة إلى قيام الساعة، فآخر ما نزل من القرآن سورة التوبة التي فيها آيات الجهاد والمقاومة، مع إعطاء الدعوة مساحة واسعة ليدخل الناس في دين الله تعالى فقال: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [2]، فإن توفرت أسباب التوبة تنحى السيف جانبا، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (لقد كان الإسلام يفتح لهم ذراعية فيأمر الله نبيه والمسلمين الذين أوذوا وفتنوا وحوربوا وشردوا وقتلوا، كان يأمرهم أن يكفوا عن المشركين إن هم اختاروا التوبة إلى الله ، والتزموا شعائر الإسلام التي تدل على اعتناقهم هذا الدين واستسلامهم له وقيامهم بفرائضه)[3]، مما يعني انتفاء حاجة المسلمين للجهاد إن أسلم هؤلاء الناس .

---

1 سورة التوبة ، الآية: 8.

2 سورة التوبة ، الآية: 5.

3 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1602/3.

وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [1] ، فالذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله وجب فيهم الجهاد لأنهم يخالفون الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[3]. فجعل القتال غاية حتى يسلم الناس، وبالتالي فالجهاد ماضٍ ما بقي الكفر في الناس إلى يوم القيامة.

كما جاء في الصحيحين وغيرهما وللفظ لمسلم عن جابر[4] ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)[5]. وفي رواية البخاري (لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم)[6]، وقوله (لا تزال) دليل على استمرارية الجهاد، يقول لإمام النووي[7] رحمه الله : (وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة، فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث)[8].

---

1 سورة التوبة ، الآية: 29.

2 سورة التوبة ، الآية: 73.

3 **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ،14/1 رقم الحديث، 25.

4 هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الانصاري السملي: صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ وروى عنه جماعة من الصحابة، له ولابيه صحبة.غزا تسع عشرة غزوة. وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم توفي سنة 78 هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،2/ 104.

5 **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة ، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم،1524/3، رقم الحديث، 1923.

6 **صحيح البخاري**، كتاب المناقب ، باب ... ،4/ 207 رقم الحديث، 3641.

7 هو يحي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا، توفي 676هـ. انظر: **الزركلي**، مرجع سابق،8/ 149.

8 **المنهاج شرح صحيح مسلم** ،ط2،(بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ)،67/13.

لذا فالأئمة متفقون وبلا خلاف على استمرار الجهاد وأن الرسول ﷺ قد أخبر عن استمراره خبراً لا يتغير ولا يتبدل، وهذه النصوص تبين أنه لا يمكن أبداً أن يخلو زمان من الأزمنة منذ بعثة النبي ﷺ إلى يوم القيامة من راية جهاد حق مرفوعة في سبيل الله تعالى، فمن علم هذه النصوص وتيقن ثبوت أصولها، ثم أنكرها فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .

المطلب الرابع: النتائج السلبية لترك الجهاد في سبيل الله.

بعد أن بين الله تعالى خطر المشركين وأهل الكتاب على المسلمين، وطرقهم المتواصلة وحيلهم الخبيثة لهدم الإسلام وأهله، بين لهم أن هذا الخطر يزول، ولن يكون له وجود، إذا ما سلك المسلمون طريق الجهاد وسيلة لدفع ضرهم وعدوانهم.

قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [1].

من هذه النتائج:

أولا: يصبح التضخم ميزة المجتمع بكثرة المترهلين لمنعهم الزكاة، فيكثر الفقراء، وترتفع الأسعار، مما يؤثر سلبا على الاقتصاد الوطني، وعندما نستقرئ من سبقنا من الخيرين، الذين امتثلوا أمر ربهم في الجهاد والإنفاق، والعفة، كيف كثرت لديهم الخدمات العامة، وبنيت المستشفيات وشقت الطرق، وتم تشغيل الفقراء والمحتاجين، وتم دفع أذى المعتدين.

ثانيا: الدنيا مهما كثرت فهي قليلة وزائلة، فقد نقل ابن كثير لما حضرت الوفاة عبد العزيز بن مروان[2] قوله: (ائتوني بكفني الذي أُكَفَّنُ فيه أنظر إليه، فلما وضع بين يديه نظر إليه، فقال: أما لي من كبير ما أخلُف من الدنيا إلا هذا؟ ثم ولَّى ظهره فبكى وهو يقول: أف لك من دار إن كان كثيرك لقيل، وإن كان قليلك لقصير، وإن كنا منك لفي غرور)[3].

ثالثا: استباحة أرض المسلمين وانتهاك مقدساتهم، وضياع ثرواتهم.

---

1 سورة التوبة ، الآية: 38-41.

2 هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الأصبغ: أمير مصر. ولد في المدينة، وولي مصر لابيه استقلالا، سنة 65 هـ فسكن حلوان مات مات 86هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،4/ 28.

3 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة،ط2،(دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م)،154/4.

رابعا: ضياع كرامة المسلمين وهيبتهم وعزتهم، وامتهانهم واستخدامهم لمصالحهم أعدائهم.

خامسا: ضعف المسلمين وتهاونهم في حقوقهم، يجعلهم مطمع الأعداء.

سادسا: يكثر أعداء الله في الصد عن دين الله مما يؤدي إلى توقف الدعوة ونشر الدين وعدم الدخول في دين الله المترتب على ترك الجهاد في سبيل الله.

سابعا: وقوع العذاب على كل من تثاقل وقعد عن الجهاد، يقول الشيخ البقاعي رحمه الله : (لما هددهم بما يضرهم، أخبرهم أنهم لا يضرون بفتورهم غير أنفسهم)[1].

ثامنا: يؤدي إلى ضعف المسلمين وتشتتهم وتفرق كلمتهم.

تاسعا: تزداد نسبة الأمية والجهل وتكثر حوادث الإجرام كالسرقة والقتل والاغتصاب.

1 **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ -1995م)،318/3.

المطلب الخامس: نصر الله قائم بجهاد المخلصين.

لقد تكفل الله تعالى بحفظ دينه ونشره في الأرض رغم مكر الماكرين وكيد الكائدين من المشركين والكافرين والمنافقين، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ*هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [1].

ليطمئن المؤمنون أن الله مظهرٌ دينه على كل دين، رغم كره المشركين، بل وبشر الله تعالى المؤمنين بنصره، فقال:﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [2].

وحتى يطمئن المؤمنون اطمئناناً لا حزن فيه ولا رِيبَةً، أن نصر الله قائم لا يؤخره تثاقل المتثاقلين ولا خذلان المتخاذلين، ولن يستطيعوا ضُرَّ رسول الله ﷺ ولا دينه لأنه الله ﷻ وعده بالعصمة والنصرة، ووعده نافذ وكائن لا محالة.

والاطمئنان نابع من معية الله تعالى بعظمته وقدرته وعونه ونصره وتمكينه، يقول الشيخ البقاعي رحمه الله : (ثم علل نهيه لصاحبه، بالاسم الأعظم، مستحضرا لجميع ما جمعه من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي تخضع لها صلاب الرقاب، وتندك بعظمتها شوامخ الجبال، فالذي تولَّى نصره بالحراسة في ذلك الزمان، كان قادرا على أن يأمر الجنود التي أيده بها، أن تهلك الكفار في كل موطن من غير أن يكون لكم في ذلك أمر، وكما أنه كان موجودا في ذلك الزمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، هو على ذلك في هذا الزمان وكل زمان)[3].

---

1 سورة التوبة ، الآية: 32-33.

2 سورة التوبة ، الآية: 40.

3 **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ -19950م)،320/3.

المطلب السادس: عوامل النصر والأثر التربوي على المجاهدين.

الفرع الأول: عوامل النصر.

ترجع انتصارات الرسول ﷺ في غزواته، وأصحابه الكرام ﷺ وفتوحاتهم، ومن جاء بعدهم من التابعين، في معاركهم العديدة، إلى ركيزتين أساسيتين:

الأولى: تحقيق المعية الإلهية:

قال الله تعالى: ﴿.. إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا..﴾ [1] ، (إن هذه المعية تحققت لرسول الله ﷺ وصاحبه وخليفته من بعده ﷺ، فكان التأييد بالنصر بعد نزول السكينة على المجاهدين من الله تعالى، كما قال ابن عباس في: ﴿عَلَيْهِ﴾ أي الصِّدِّيق، لأن السكينة لم تفارق النبي ﷺ)[2].

هذه المعية توفر التأييد الإلهي للمجاهدين بجند الله ومدده وملائكته، وهذا أمرٌ قد كَتَبَهُ اللهُ على نفسه، فقال : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [3] ، هذه المعية توفر النصر والتأييد إلى يوم القيامة، (فعن جابر ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)[4].

الثانية: الأخذ بأسباب القوة المعنوية والمادية:

1-ذكر الله تعالى الأسباب والعوامل المعنوية للنصر في سورة التوبة، قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [5] .

---

1 سورة التوبة ، من الآية: 40.

2 البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 19950م)،321/3.

3 سورة غافر ، الآية: 51.

4 **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة ، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم،1524/3، رقم الحديث، 1923.

5 سورة التوبة ، الآية: 71.

2- وفي سورة الأنفال ذكر الأسباب المادية للنصر، والتي تعتبر التوبة متممة أو موضحة لسورة الأنفال، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ [1] ، والاستطاعة تشمل الإعداد الجيد، إعداد تربوي وعسكري تشمل قوة العقيدة وقوة البدن، العسكرية منها والنفسية، ونوعية العتاد، الكمية منها والكيفية. وغير ذلك من الإعداد والاستطاعة.

3- قيادة مؤمنة، تتوفر فيها الشروط التالية:

- **صفات ذاتية إيمانية**، يتجلى فيه إخلاص النية لله، لنيل مرضاة الله تعالى، مرورًا بصفات التواضع، والرحمة، والصدق، والأمانة.

- **صفات ذاتية فكرية**: نابعة من فكر المرء وأدبياته، تشمل القدرة على التصور والتفكير، والتحليل، والتخيل، ذو رؤية مستقبلية في فهم المشكلات وحلها، والقدرة على رؤية الموضوع، واتخاذ المواقف السريعة والحاسمة، بحسن التخطيط، واختيار الرجل المناسب في المكان المناسب، وتقييم الأمر العام والحكم على الأشياء بحنكة وحصافة.

- **صفات ذاتية شخصية**: قوة في الشخصية، وإرادة صلبة، وعزيمة وهمة عالية، والحزم، مشهود له بالشجاعة، والحكمة، والعفو والمسامحة، والثقة بالنفس، واللباقة، والمرونة، يتمتع بروح المرح والملاطفة، والهدوء والحلم والأناة، وسعة الصدر، وحب الإيثار، والتأثير في الآخرين، يشاورهم، ويلاطفهم ويتودد إليهم، متواضع لله يخفض جناحه لهم، شديدٌ في موضع الشدة، لينٌ من غير ضعف.

- **صفات ذاتية مهنية**: أن يكون ذو كفاءة عالية وعلم (شرعي وعسكري وسياسي) وقدرة بالغة في أداء المهام و الواجبات، كالحيطة والحذر، وكتمان الأمر والسر، وبث العيون وحسن الاستطلاع.

---

1 سورة الأنفال ، الآية: 60.

كل ما سبق من صفات تنبثق أصلا من الإسلام الذي يعطي كل هذه الصفات التي يجب ألا تخلو من أي قائد يُسْتَعْمَل على أمور المسلمين العامة والخاصة.

الفرع الثاني: الأثر التربوي على سلوك المسلم أثناء جهاده.

ظلَّ رسولُ الله ﷺ في قومه ثلاثة عشر سنة يبلغهم رسالة ربه، لاقى خلالها وأصحابه شتى أنواع الأذى، وأشكال العذاب، وصنوف البلاء، ومحاولة الإذلال، من أعداءٍ لئام طوال بقائه في مكة، لكن الله لم يأذن لهم بعد، فكانت فترة التربية على العقيدة، وترسيخ المبادئ والثبات على الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر في نفوسهم، حتى إذا ما تغلغل اليقين الذي لا يخالطه شك، واطمأنت نفوسهم بوعد الله ونصره، أذن الله لهم بالقتال، قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ*الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا أَسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌ عَزِيزٌ﴾ [1] .

ما يكون عليه المسلم قبل الجهاد: قبل الجهاد لا بد من تحقق أركان الإيمان الستة: إيمانٌ بالله لا يخالطه شك أو ريب، وإيمان بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ثم لا بد من أمور تربوية وإيمانية وعقدية: كحسن التوكل على الله، وتمام اليقين بالله ونصره، ليكون لديهم الاستعداد النفسي والبدني لمحاربة عدوهم الذي أمر الله بقتالهم، والسعي الحثيث لهدايتهم ودعوتهم لهذا الدين بشيء من الحكمة والعلم والتقوى.

الفرع الثالث: الأخلاق التربوية أثناء المعركة.

الأركان الإيمانية الستة تعتبر أموراً ارتكازية وأساسية في التربية لا بد منها، حتى يترسخ عند المؤمن حب الله ورسوله وحب المؤمنين، فالمؤمنون باختلاف ألوانهم وأجناسهم وأعراقهم، إخوة، قررتها حقائق القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ..﴾ [2] ، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[3].

1 سورة الحج ، الآية: 39-40.

2 سورة الحجرات ، من الآية:10.

3 **صحيح البخاري**: كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، 12/8، رقم الحديث،6026.

لذلك نجد الكثير من التوجيهات التربوية خلال الآيات الجهادية:

الآية الأولى: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [1].

إنه الاستعداد التام للجهاد المرتكز على أسباب النصر الرباني ألا وهو الإيمان الصادق بالله ورسوله، مع الأخذ بأسباب النصر البشري كالبدني والعسكري والتسليحي، الذي يناسب طبيعة كل معركة ،كل هذه الأمور تحتاج إلى فترة زمنية يتربى فيها المجاهد على كيفية التعامل مع المحاربين والأسرى، بعزة وكرامة أثناء القتال، حتى تحول العدو إلى أخ وصديق، من خلال المعاملة المباشرة لهداية هذا العدو الكافر ليكون مسلما جديداً؟ إنه المشروع الأثمن لدخول الجنة، لقول الرسول ﷺ لعلي ﷺ (أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خيرٌ لك من حُمْرُ النَّعَم)[2].

الآية الثانية: قال الله تعالى: ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [3].

إن الفطرة الإنسانية تدعو إلى رد العدوان ودفع الأذى، ومنع كل من يحاول إخراج صاحب حق من حقه، فمن المسَلَّمِ به أن يركن الضعيف إلى الأقوى، وأن يبتغي طالب العزة من العزيز الكريم، وأن يستنصر المغلوب من الناصر على النصر، فالله أمرنا أن نخشاه لأنه الله جل في علاه، وأن الخشية من الناس تولد أمورا لا تحمد عقباها.

الآية الثالثة: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [4] . في هذه الآية أمران، أمر بالمجاهدة، وأمر بالغلظة.

---

1 سورة التوبة ، الآية: 5.

2 **صحيح البخاري**: كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب علي ﷺ ، 18/5، رقم الحديث، 3701.

3 سورة التوبة ، الآية: 13.

4 سورة التوبة ، الآية: 73.

- إن رسول الله ﷺ مطبوع بالرفق واللين والسماحة، وهكذا يجب أن يكون المسلم الذي اتخذ من النبي ﷺ قدوة، فيكون الخطاب بالمؤمنين أولى، لأنه ﷺ مجاهد في سبيل الله منذ أن بعثه الله تعالى، ولأن الغلظة ليست من طبعه ﷺ، فكان الأمر بها أمرا ضروريا، ليسرع الرسول ﷺ في معالجة العضو الفاسد بالبتر، سلامة للأمة من الفساد العام الذي قد يهددها.

- في الآية بدأ الأمر بجهاد الكفار وثنّى بالمنافقين، وفي قوله تعالى: (وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ)[1] بدأ وعيده بالمنافقين وثنّى بالكافرين، ليعلم المؤمن خطورة الكفر المعلن والظاهر، ويقول الإمام القرطبي رحمه الله : (الخطاب للنبي ﷺ وتدخل فيه أمته من بعده، قيل: المراد جاهد بالمؤمنين الكفار، وقال ابن عباس: أمر بالجهاد مع الكفار بالسيف، ومع المنافقين بالسنان وشدة الزجر والتغليظ)[2]، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (فقد لاينهم رسول الله ﷺ كثيرا، وأغضى وصفح كثيرا، وقد بلغ الحلم غايته، والسماحة أجلها، واللين أمده، ليكلفه ربه بجهاد هؤلاء وهؤلاء جهادا عنيفا غليظا لا رحمة فيه ولا هوادة، وليكن الحسم القاطع)[3].

الآية الرابعة: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [4]،يبين الله تعالى لعباده خطورة الكفار وخاصة المجاورين للحدود، والمحتمل خطرهم المتجدد على حدود الدولة الإسلامية، لذلك أمر المجاهدين بدوام الغلظة على هؤلاء المجاورين لردعهم وإخافتهم ، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (ليتم تحديد طريق الحركة الجهادية بعد أن أصبحت الجزيرة كلها قاعدة للإسلام ونقطة انطلاق ليكون الدين كله لله)[5].

---

1 سورة التوبة ، الآية: 68.

2 **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، د.ط،(الرياض: دار عالم الكتب، 1423 هـ/ 2003 م)،204/8.

3 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،3/ 1677.

4 سورة التوبة ، الآية: 123.

5 سيد قطب، مرجع سابق ،3/ 1715، باختصار.

ويرى الباحث والله أعلم أن المنافق المعلوم النفاق، من خلال ولائه لليهود والنصارى المناصرين له، ويتبادلون معه المحبة والنصرة، المتآمرين على الإسلام وأهله، وجب الجهاد فيهم بكل أنواعه والغلظة فيهم، التي أرادها الله تعالى، لما فيهم من غدر وخيانة ونذالة بعد كفر صريح لنا فيه من الله برهان وبينة.

الفرع الرابع: الآثار المترتبة على الخشية من الناس دون الخشية من الله تعالى.

- ضعف وخور يصيب النفس قبل ما يصيب البدن.
- زعزعة الثقة بالنفس، واضطراب يتبعه قلق دائم.
- تبقى النفس تحسب حساب المعتدين وأي ظهور لهم يولد لديه خوف دائم.
- تكون العيون دوما وجلة وزائغة تنظر يمنة ويسرة، من كل مجهول، وأفئدة هواء.
- يستعد الجبان لقبول كافة الشروط المهينة من العدو، متنازلا عن ثوابت الأمة ومبادئها، والتهاون في مقدساتها.

فلا ينبغي لمؤمن بعد كل ذلك أن يخشى أحدا غير الله، لأن في خشيته عزة وكرامة ونصر وتمكين، فسبحان من استعبدنا لطاعته، فجعلنا أحرارا وسادة وكراماً.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله : (إن المؤمن لا يخشى أحدا من العبيد، فالمؤمن لا يخشى إلا الله، فإذا كانوا يخشون المشركين فالله أحق بالخشية وأولى بالمخافة، وما يجوز أن يكون لغيره في قلوب المؤمنين مكان)[1].

1 **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1612/3.

الفصل الثالث: موقف المنافقين من الجهاد.

ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث الأول: الاعتذار عن الجهاد بحجج واهية.

المبحث الثاني: الإرجاف والتثبيط وإثارة الفتنة.

المبحث الثالث: الخوف من الجهاد.

المبحث الرابع: التربص بالمؤمنين.

المطلب الخامس: الأثر التربوي على المؤمنين من خلال مواقف المنافقين.

المبحث السادس: الآثار والأخطار المحدقة بالمسلمين بسبب وجود المنافقين بينهم.

المبحث الأول: الاعتذار عن الجهاد بحجج واهية.

بعد الاطلاع على الأسلوب الذي كان يعامل به الرسول ﷺ المنافقين، وفق الأوامر الإلهية التي جاء بها القرآن الكريم لا بد من ذكر أحوال المنافقين في سياق الأمر بالجهاد، وذلك ليكشف أمرهم في كل زمان ومكان، وقد كشف الله أمرهم بأنهم قوم ليس لهم نصيب من الإيمان بالله ورسوله، وليس عندهم روح للجهاد ولا دافع للتضحية، ولا ثقة بالله ووعده، لذلك لم يكن لديهم إلا أن يتخلفوا عنه، وافتعال الأعذار الواهية.

قال الله تعالى عن بعض أعذارهم : ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [1]، أي لو كان ما استنفرتم له ودعوتهم إليه أيها الرسول عرضا قريبا (والعرض: ما يعرض من منافع الدنيا. والمعنى: غنيمة قريبة غير بعيدة)[2] لا تبعوك فيه، ولكن التي دعوا اليها – وهي تبوك – كانت سفرة بعيدة شاقة.

﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ أي للمسلمين اذا رجعوا الى المدينة قائلين : ﴿ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ يعني لو لم يكن لدينا عذر لخرجنا معكم، ﴿ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي (بالكذب والنفاق)[3]
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي في ذلك الكلام بأنهم لو استطاعوا الخروج الى غزوة تبوك لخرجوا مع النبي والمسلمين.

ومن أعذارهم ما قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (عن محمد بن إسحاق[4] وغيرهم قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه، للجد بن قيس أخي بني سلمة: هل لك يا جدُّ العامَ في جلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أوْ تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رَجل أشدّ عُجْبًا بالنساء منِّي، وإني أخشى إن رأيت نساءَ بني

---

1 سورة التوبة ، الآية: 42.

2 الشوكاني، **فتح القدير**،ط1،(بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب،1414 ه)،414/2.

3 الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر،ط1،(مؤسسة الرسالة، 1420 ه – 2000 م)،326/1.

4 هو محمد بن إسحاق مولاه قيس بن مخرمة قد رأى أنس بن مالك وروى عن زيد بن ثابت وكان عالما وماهرا في السير والمغازي وقصص الأنبياء والحديث والفقه والقرآن وحدث في بغداد وتوفي فيها سنة خمسين ومائة. انظر: الأدنروي، **طبقات المفسرين** ،تحقيق: سليمان بن صالح الخزي،ط1، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ،1418ه- 1997م)،19.

الأصفر أن لا أصبر عنهن، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: قد أذنت لك، ففي الجد بن قيس[1] نزلت هذه الآية)[2].

وقد كشف الله عن السرائر الكامنة في نفس الجد بن قيس (فما كان الجد ليتهم نفسه على كبر سنه، وما عرف عنه في سيرته شيء مما اتهم به نفسه، ولو انه كان يخشي الفتنة من نساء بني الأصفر فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله ﷺ والرغبة بنفسه عن الجهاد أعظم، فيؤثر التمرد على قبول التكليف ويحاول أن يستتر بهذه السخافة، ويجعل منها عذرا عن التخلف عن الجهاد)[3].

والقرآن الكريم يكشف حقيقة الذين يستأذنون من النبي ﷺ حيث يصفهم بأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وهم في حالة حيرة وشك ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [4].

والآية تميز المؤمنين عن المنافقين، فإن المؤمنين متى أمروا بالجهاد بادروا إليه ولم يتوقفوا، عكس المنافقون فإنهم يتوقفون ويأتون بالعلل والأعذار الكاذبة، وهكذا كان التخلف عن الجهاد بدون عذر حقيقي من علامات النفاق.

---

1 هو جد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، وفيه نزل قوله تعالى: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي. وقيل إنه تاب وحسنت توبته وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر : ابن الأثير، **أسد الغابة**، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي،ط1،(بيروت: دار إحياء التراث العربي)، 402/1.

2 الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر،ط1،(مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م) ،287/14.

3 ابن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، د.ط،(بيروت: دار الجيل، 1411هـ)،196/5.

4 سورة التوبة ، الآية: 44-45.

المبحث الثاني: الإرجاف والتثبيط وإثارة الفتنة.

لم يقف المنافقون عند حد تخلفهم عن قتال، بل صاروا يحرضون الناس على التخلف، همهم تثبيط الناس عن الجهاد، قال تعالى :﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [1]، (لم يقتصر الأمر على فرحهم بأنفسهم، بل أغروا غيرهم بعدم الخروج، وقال بعضهم لبعض: لا تخرجوا للجهاد لأن غزوة تبوك في شدة الحر، وقد طابت الثمار والظلال المتفيأ بها. فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ أي إن نار جهنم التي أعدت للعصاة أشد حرا مما فررتم منه من الحر)[2]

(وإنما تعدى ضررهم وقبح أخلاقهم إلى المجتمع، بقصد هدم بنيته وتقويض وجوده من طريق ترويج الرذيلة والمنكر، ومحاربة الفضيلة والمعروف، وهذا يشبه اتجاه بعض الحركات الهدامة المعاصرة، كالصهيونية في (بروتوكولات حكماء صهيون)، ولا شك بأن الضرر العام أسوأ أثرا من الضرر الخاص)[3]، قال الله تعالى مبينا تحركات المنافقين بقوله :﴿ الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْكُفَّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾ [4].

ولو خرج المنافقون مع المسلمين فإنهم لا يزيدونهم إلا خبالا، قال الله تعالى:﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [5].

---

1 سورة التوبة ، الآية: 81-82.

2 الزحيلي، **التفسير الوسيط** ،ط1،(دمشق: دار الفكر 1422 ه)، 987/1.

3 المرجع السابق،883/1.

4 سورة التوبة ، الآية: 67-68.

5 سورة التوبة ، الآية: 46-47.

(والتثبيط هو رد الإنسان عن الشيء الذي يفعله)[1]،فقوله تعالى ﴿ فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي (لم يبعث فيهم الهمة للخروج)[2] وقيل (حبسهم وشغلهم)[3].

قال الإمام ابن القيم[4] رحمه الله : (فلما تركوا الإيمان به بلقائه، وارتابوا بما لا ريب فيه، ولم يريدوا الخروج في طاعة الله، ولم يستعدوا له، ولا أخذوا أهبة ذلك كره سبحانه انبعاث من هذا شأنه، فإن من لم يرفع به وبرسوله كتابه رأسا ولم يقبل هديته التي أهداها إليه على يد أحب خلقه إليه وأكرمهم عليه، ولم يعرف قدر هذه النعمة ولا شكرها، بل بدلها كفرا. فإن طاعة هذا وخروجه مع رسوله يكرهه الله سبحانه فثبَّطه لئلا يقع ما يكره من خروجه، وأوحى إلى قلبه قدرا وكونا أن يقعد مع القاعدين)[5].

وعند خروج هؤلاء المنافقون مع رسول الله ما كان منهم إلا الأذى والمكر، (وإنما يؤدي إلى مفاسد ثلاث: هي الإفساد والشر، وتفريق كلمة المؤمنين بالنميمة، والتسبب في سماع بعض ضعفاء الإيمان كلامهم وقبول قولهم)[6].

والآية ذكرت أن عدم خروج المنافقين كان خيرا للمسلمين، ذلك بأنهم لو خرجوا لأفسدوا عليهم أمرهم فأوقعوا بينهم الاضطراب، ولا يريد المنافق للمسلم إلا (ضرراً وفساداً وبلبلة لأفكار المؤمنين، مما ينفثونه من سموم القول للتخذيل والتفشيل)[7].

---

1 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **التفسير القيم** ،تحقيق: محمد حامد الفقى، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية)، 293.

2 سيد قطب، **في ظلال القرآن**، د.ط،(القاهرة: دار الشروق)،1663/3.

3 الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق : صفوان عدنان داودى، د.ط،(بيروت: دار العلم الدار الشامية، 1412 ه)،172/1.

4 هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الاصلاح الاسلامي، وأحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق، توفي سنة 751 ه. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام،ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،56/6.

5 **التفسير القيم** ،تحقيق: محمد حامد الفقى، د.ط،(بيروت: دار الكتب العلمية)، 294.

6 الزحيلي، **التفسير الوسيط** ،ط1،(دمشق: دار الفكر 1422 ه)، 867/1.

7 أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**،ط5،(المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1424ه/2003م)،375/2.

والضرر للمؤمنين يزداد، خاصة إذا وجد البسطاء من المسلمين الذين يتأثرون بمقالة المنافقين، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾، أي (فيكم من يستمع ما يقولونه من الكذب فينقله إليكم، فيتأثر من ذلك الاختلاف بينكم، والفساد لإخوانكم)[1].

حيث ظهر ذلك المكر والكيد الذي كان يخفيه المنافقون للمؤمنين في مواضع عدة، منها: تأمرهم لقتل رسول الله في العقبة، وغير ذلك من الأعمال المنحرفة التي قاموا بها عند العودة من غزوة تبوك، وأن مكر المنافقين في هذا العصر أدهى من مكرهم في الماضي، لكثرة سامعيهم ومطيعيهم من ضعيفي الإيمان في هذا الزمن.

1 الشوكاني، **فتح القدير**،ط1،(بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب،1414 ه)،418/2.

المبحث الثالث: الخوف من الجهاد.

كان الخوف من صميم صفات المنافقين، حيث قال الله تعالى عنهم: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [1] أي (كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف، يعتقدون، لجبنهم، أنه نازل بهم)[2]، ولآية تصوير لضعفهم وخوفهم وجبنهم.

ومما جاء في خوفهم من الجهاد قوله تعالى : ﴿ وَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقالُوا ذَرْنا نَكُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ﴾ [3] وقوله تعالى :﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَما هُمْ مِنْكُمْ وَلكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [4].

والمنافقون يحلفون بالله إنهم لمن المؤمنين، نفي الله تعالى ذلك عنهم، لأنهم فعلا قوم يفرقون. والفرق (تفرق القلب من الخوف)[5] والمعنى (أنهم يحلفون من شدة خوفهم الذي فرق قلوبهم ومزقها)[6].

والأشد من ذلك قوله تعالى:﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغاراتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [7].

والملجا : وهو (المكان الذي يلجا إليه الخائف ليعتصم به)[8].

والمغارات : (جمع مغارة: وهي الكهف أو الغار في الجبل) [9].

والمدخل بالتشديد: (سربا في الأرض للدخول فيه بمشقة)[10] .

---

1 سورة المنافقون ، الآية: 4.

2 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة،ط2،(دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م)،126/8.

3 سورة التوبة ، الآية: 86.

4 سورة التوبة ، الآية: 56.

5 الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق : صفوان عدنان داودى، د.ط،(بيروت: دار العلم الدار الشامية، 1412 هـ)،634/1.

6 رشيد رضا، **تفسير المنار**، د.ط،(الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م)،419/10.

7 سورة التوبة ، الآية: 57.

8 رشيد رضا، مرجع سابق،419/10.

9 الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط1،(دمشق: دار الفكر المعاصر، 1418 هـ)،253/10.

10 المرجع السابق، 253/10.

المبحث الرابع: التربص بالمؤمنين.

من أخبث صفات المنافقين التي ذكرها القرآن الكريم التربص بالمؤمنين حيث يستاؤن بفوز المسلمين في كل معركة، ويفرحون بهزيمتهم ومصيبتهم، وإن كانوا يقيمون بين المسلمين ويتمتعون بخيراتهم، وحمايتهم، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ * قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلاَّ ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [1]

ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الكريمة بقوله تعالى (﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿هل تربصون بنا﴾ أي: تنتظرون بنا ﴿ إلا إحدى الحسنيين ﴾ شهادة أو ظفر بكم. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم. ﴿ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ﴾ أي: ننتظر بكم هذا أو هذا، إما أن يصيبكم الله بقارعة من عنده أو بأيدينا، بسبي أو بقتل، ﴿ فتربصوا إنا معكم متربصون﴾)[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [3].وهم لا يكتفون بذلك وإنما يوالون الكفار، ويحسنون علاقتهم معهم، وقد بين الله عنهم، منها قوله تعالى :﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [4].

---

1 سورة التوبة ، الآية: 50-52.

2 **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة،ط2،(دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م)،162/4.

3 سورة آل عمران ، الآية: 120.

4 سورة آل عمران ، الآية: 167.

وقوله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [1]والآية تربط الكفار مع المنافقين برباط الأخوة.

وقوله تعالى :﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [2]

ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الكريمة (أن المنافقين من هذه الصفة فإنهم آمنوا ثم كفروا، فطبع على قلوبهم، ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، بمعنى أنهم معهم في الحقيقة، يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة، ويقولون لهم إذا خلوا بهم: إنما نحن معكم، إنما نحن مستهزئون. أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة)[3].وفي غزوة أحد انسحب المنافقون من جيش المسلمين ورجعوا الى المدينة قبل وصولهم أحد، وهذا الموقف تخذيلا للمسلمين.

والمنافقون تعاونوا مع الكفار وبنوا مسجد الضرار، حيث ذكر البيهقي[4] ذلك في الدلائل (هم أناس من الأنصار ابتنوا مسجدا فقال لهم أبو عامر[5]: ابنوا مسجدكم واستمدوا ما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم، فأخرج محمدا وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ ، فقالوا: إنا قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلي فيه وتدعو بالبركة، فأنزل الله عز وجل ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [6])[7].

هكذا كان المنافقون يخططون خططا ومكائد ضد المسلمين، لذا يجب علينا أن نجاهدهم، وأن نوقفهم عند حدهم، ونبعدهم عن أماكنهم، وعن مراكز القوة التي يسيطرون عليها.

---

1 سورة الحشر ، الآية: 11.

2 سورة النساء ، الآية: 138-139.

3 **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة،ط2،(دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م)،435/2.

4 هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي المتوفى: 458هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ط15،(دار العلم للملايين، 2002 م)،1/ 116.

5 هو حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي المعروف بغسيل الملائكة وكان أبوه في الجاهلية يعرف بالراهب، فمات سنة تسع ويقال سنة عشر. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي، تحقيق : علي محمد البجاوي، **الإصابة في تمييز الصحابة**،ط1،(بيروت: دار الجيل، 1412هـ)،137/2.

6 سورة التوبة ، من الآية: 108.

7 البيهقي، أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي،ط1،(دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، 1408 هـ - 1988 م)،262/5.

المطلب الخامس: الأثر التربوي على المؤمنين من خلال مواقف المنافقين.

إن الاستعداد النفسي والإعداد التربوي والاجتماعي تشكل الأرضية الصلبة للبناء الإسلامي المهيأ للتجاوب مع التحديات الكبرى التي يواجهها المسلمون مع المنافقين وغيرهم من أعداء الأمة، تعتمد على نظرية تربوية واحدة وشاملة، حيث يستطيع كل مسلم أن يستخدمها في أي زمان ومكان بغض النظر عما يتوفر لديه من إمكانات، معتمدا أن يكون القرآن الكريم والسنة النبوية المصدر الأساس للأثر النفسي والتربوي والعقلي والعلمي والعملي، في مواجهة المنافقين وأعداء الأمة، ومن هذه الآثار التي نستقرؤها ما يلي:

- ضرورة مناصرة دين الله، ضد الهجمات الكفرية والنفاقية ، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ..﴾ [1].
- حب الإنفاق في سبيل الله ومساعدة الناس بكل الحب والرضا حباً في الله وطمعاً في جنته، ونجاةً من أليم عقابه، ومخالفةً لأعدائه من أهل الكتاب والمنافقين، قال تعالى: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [2].
- حب الثواب وعظيم الأجر رغم طول المشقة، ﴿وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ [3].
- ضرورة التربية على ثقافة الجهاد والاستعداد النفسي لملاقاة الأعداء، مع أخذ الحيطة والحذر، وتأمين جميع الثغور، حتى لا يؤتى المؤمنون على حين غرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً﴾ [4].

---

1 سورة التوبة، من الآية: 32.

2 سورة التوبة، من الآية: 35.

3 سورة التوبة، من الآية: 41.

4 سورة التوبة، من الآية: 46.

- خطورة مجالسة المنافقين، والاستماع إلى أحاديثهم، حفاظا على الدين وسلامة من الظلم والنفاق، قال الله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ..﴾ [1] .

- أن يتيقن المؤمن حق اليقين بانتصار هذا الدين، وعلو أمره، قال الله تعالى: ﴿حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [2] .

- خطورة الاستئذان الكاذب، والتخلف عن الجهاد بدون عذر شرعي، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي ولا تَفْتِنِّي﴾ [3] .

- الإكثار من الصالحات إصابة للخير والحسنات، وخاصة حث النفس على حسن الصبر والرضا عند الابتلاءات، حتى لا يؤثر في المؤمن فرح المنافقين عند مصائبهم وجراحاتهم، قال الله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [4].

- ضرورة التوكل على الله تعالى حق التوكل في كل الأمور سعيا للاطمئنان عند المصائب، والرضا بقضاء الله، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [5].

- ضرورة الاستعداد التام لملاقاة أعداء الله تعالى: عقديا وإيمانيا وعسكريا قولا وعملا، من جميع النواحي: الذهنية، والنفسية، والإعدادية، وكذلك البدنية، حتى لا يفت في عضد المسلمين تربص أعدائهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [6].
[6].

1 سورة التوبة، من الآية: 47.
2 سورة التوبة، من الآية: 48.
3 سورة التوبة، من الآية: 49.
4 سورة التوبة، من الآية: 50.
5 سورة التوبة، من الآية: 51.
6 سورة التوبة، الآية: 52.

- ضرورة إنفاق الطائعين لله المحبين له، حتى لا يتشابه المؤمنون بالمنافقين، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [1].
- ضرورة حسن الاتصال بالله من خلال صلاة المحبين النشطاء، المداومين على أدائها في وقتها، المحافظين على جماعتها، القائمين في ركوعها وسجودها، والخاشعين لتمامها، عسى يتقبلنا ربنا وهو راض عنا، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى..﴾ [2].
- عدم النظر في أموال وأولاد المنافقين مهما عظمت، أو كثرت، لأنها نتاج أعمالهم القبيحة، وسبب من أسباب عذاباتهم، قال تعالى: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [3].
- الاطمئنان إلى عظمة الله، وأن الفضل له سبحانه وتعالى في تثبيت المؤمنين، وإعزازهم، ورفعة شأنهم، وبثه الرعب في قلوب المنافقين، قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [4].
- العمل وفق أوامر الله سعيا لمرضاته، دون النظر إلى رضا المغرضين والمرجفين، أو سخطهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [5].
- الرضا (ما أحسب أن شيئا من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضا، ولا أعلم درجة أرفع من الرضا وهو رأس المحبة)[6] قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَآ آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ﴾ [7].

---

1 سورة التوبة، الآية: 53.

2 سورة التوبة، من الآية: 54.

3 سورة التوبة، الآية: 55.

4 سورة التوبة، الآية: 56.

5 سورة التوبة، الآية: 58.

6 الأبشيهي، شهاب الدين ابن أحمد، **المستطرف في كل فن مستظرف**، د.ط،(القاهرة: المكتبة التوفيقية)، 81.

7 سورة التوبة، الآية: 59.

- ضرورة تجنب إلقاء الكلمات جزافا بعلم أو بدون علم في أذية المؤمنين، مع انتقاء الكلمات الطيبة في التعامل مع الناس، مع حسن الثقة بهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [1].
- إخلاص العمل لله، بأن يكون الأساس في عمل كل مؤمن وأمله طلب مرضاة الله تعالى، وألا ينازع اللهَ أحدٌ في مرضاته، سرا وعلانية، قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [2].
- أن تكون سريرة المؤمن كما علانيته في عبادته لله، ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم..﴾ [3].
- إن الاستهزاء بالمؤمنين وجهادهم إنما هو استهزاء بالله وآياته ورسوله، ومن وقع في شيء من هذا، لا بد أن يسارع إلى التوبة الصادقة، مخافة أن يموت كافراً، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ*لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [4].
- خطورة الكلمة الخبيثة، والهمُّ بالشر ونية السوء، مع ضرورة حفظ الجميل، وخطورة نكرانه، قال تعالى:﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ..﴾ [5].
- المؤمن إذا قال صدق، وإذا وعد أوفى، وإذا اؤتمن أدى، وإذا عاهد التزم، وإذا خاصم رحم، وإذا أنفق كرم، وليس للبخل إلى نفسه طريق، حتى لا ينازع المنافق في أي من صفاته، قال

1 سورة التوبة، الآية: 61.
2 سورة التوبة، الآية: 62.
3 سورة التوبة، من الآية: 64.
4 سورة التوبة، الآية: 65-66.
5 سورة التوبة، من الآية: 74.

تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ* فَلَمَّآ آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [1].

- إن اللمز والغمز والسخرية ليست من أخلاق المؤمنين، فالترفع عنها سلامة من النفاق: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [2].
- إذا تخلف المؤمن عن الجهاد قصرا ولا يجد ما ينفق في سبيل الله، حزن حزنا شديدا، قال تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [3] ، في حين أن المنافقين يملكون المال، ومع ذلك يستأذنون كُرْهَاً في الجهاد، فقال الله فيهم: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [4].
- المؤمن في الدنيا بين الخوف والرجاء يطمع في رحمة الله تعالى ويخشى أليم عقابه، بخلاف المنافقين الذين لا يحسبون للآخرة أي حساب، قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [5].
- خطورة التخلف والقعود عن الجهاد، لأن المؤمن يتربى ويترعرع على حب الجهاد طلبا لمرضاة الله، وخوفا من طبع القلوب على النفاق، ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ* رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ [6].

---

1 سورة التوبة، الآية: 75-76.

2 سورة التوبة، الآية: 79.

3 سورة التوبة، الآية: 92.

4 سورة التوبة، الآية: 81.

5 سورة التوبة، الآية: 82.

6 سورة التوبة، الآية: 86-87.

- الدعوة إلى وحدة الصف المسلم والاجتماع على المساجد الجامعة، التي توحد ولا تفرق، على أساس من الحب والنصرة، مع حرمة الاستنصار بالكافرين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [1].

لقد أوضحت هذه الآيات الكريمة الفرق بين المؤمنين والمنافقين، ومن تدبر الآيات علم عظيم الفرق بينهم، وعلم أَن هؤلاء المنافقين كانوا نشازاً في المجتمع الإسلامي، ولم يكن لهم دور ألبته في الجهاد ولا في العلم ولا في تبليغ هذا الدين، بخلاف المؤمنين يكون القرآن الكريم والسنة النبوية المصدران الأساس للأثر النفسي والتربوي والعقلي والعلمي والعملي، في مواجهة المنافقين وأعداء الأمة.

1 سورة التوبة، الآية: 107.

المبحث السادس: الآثار والأخطار المحدقة بالمسلمين بسبب وجود المنافقين بينهم.

أيا كان مسمَّى المنافقين، فإنهم جزء من المجتمع، لهم أنساب وأصهار وأبناء وزوجات فهم شريحة من الناس، يعيشون في مجتمع مدني، يبيعون ويشترون ويتزاورون، ويَنْكَحُونَ وَيُنْكِحُون، بل ويذهبون إلى المساجد، وربما يُصَلُّونَ في الصف الأول، ويناقشون في أمر دينهم، بل ويتعلمون إما للإفادة، أو للمجادلة، أو الطعن، كما أنهم يسافرون ويرحلون ويرتحلون دون قيود، لذلك كانت آثارهم السلبية والمتباينة في المسلمين شديدة، بسبب توجهاتهم الخفية، وبالتالي فخطرهم مخفي، بل أشد ما يكون، نتيجة تواصلهم الاجتماعي في الناس، فكثير منهم لهم أبناء صالحون، كعبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، وحنظلة بن أبي عامر الراهب .

كما أن لهم آثارا اقتصادية سيئة على المجتمع، من خلال بخلهم وطعنهم في المكثرين، واستهزائهم بالمقلين، كما أن لهم آثارا سياسية خطيرة وفادحة، ناهيك عن الأخطار العسكرية الناجمة عن هذا التواطؤ، وكذلك قعودهم وتخلفهم، وطعنهم في المجاهدين، ومحاولاتهم المستمرة للتخذيل وتثبيط الهمم.

لذا فإن وجود النفاق والمنافقين في المجتمع المسلم يشكل خطرا شديدا، بسبب اطلاعهم على بواطن الأمور، ومواطن الضعف والقوة، لذلك حذر الله تعالى عباده المؤمنين من موالاة الكافرين، وخاصة أولي القربى أشد الحذر، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [1].

لهذا كانت آثارهم خطيرة جدا على حياة الناس، لأنهم العيون المفتوحة للكافرين على المؤمنين، لذا فإن تتبع سلوك المنافقين في السورة، وبيان تصرفاتهم قبل وخلال وبعد غزوة تبوك، لنجد الكثير من الآثار السلبية، التي يجب على المسلم أن يتنبه لها، ويأخذ حذره منها، وخصوصا في زماننا، حيث تختفي فيها عوامل الاتصال بينهم والكافرين، بسبب التطور المهول الذي طرأ على كثير من الأجهزة، ليدركوا حقيقة أخطارهم المحدقة والآثار المترتبة على ذلك في نفوس المؤمنين.

1 سورة التوبة ، الآية: 23.

كثيرا ما يستخدم المنافقون أموالهم كورقة ضغط ضد فقراء المسلمين، لإغوائهم، أو أغرائهم، ثم إسقاطهم ليكونوا عيونا لهم تعينهم للوصول إلى مآربهم، وأهدافهم الخبيثة.

التشكيك في سياسة الرسول ﷺ الاقتصادية، من خلال لمز الصدقات التي يوزعها على فقراء المسلمين، وإلا ماذا يعني أن يلمزونه في الصدقات، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [1] ، كما أنهم طعنوا في المكثرين استهزؤوا بعطاء المقلين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [2] .

إن الآثار السياسية التي يخلفها المنافقون، وخاصة عندما يكونون في السلطة، من خلال علاقاتهم مع الكافرين تُحَمِّلُ البلاد حملا ثقيلا، تنوء بحملها الجبال، عندما يغرقون البلاد بالمعاهدات الظالمة والمجحفة.

من خلال ما سبق يتبين أن وجود النفاق والمنافقين في المجتمع المسلم يشكل خطرا شديدا على الأمة الإسلامية، فمن الممكن أن تهدم بيوتا، وتهلك مجتمعات، ولكن الإسلام دائما يسعى إلى تحقيق الأمن الاجتماعي والنفسي، لذلك يجب علينا أن نقوم بدورة فعالة ببيان للناشئة خطورة أساليب ومخططات المنافقين، ودورهم في هلاك الأمة وتدمير بنائها.

وبعون من الله – عز وجل — قد وصلت لختام الفصل الأخير من فصول هذه الأطروحة، وننتقل بعد ذلك إلى الكلام على الخاتمة ،أحسن الله خاتمتنا أجمعين .

1 سورة التوبة ، الآية: 58.

2 سورة التوبة ، الآية: 79.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي مكنني من إتمام هذا البحث، فأتوجه بالشكر لله – عز وجل – أن وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع، فمن يتوكل على الله فهو حسبه وناصره، وأسأل الله سبحانه القبول، وأن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وبعد...

فقد توصلت الى النتائج التالية:

1. من أبرز صفات المنافقين العقائدية الفكرية : ادعاء الإيمان، التحاكم للطاغوت، الصد عن سبيل الله، موالاة اليهود والكفار، خلف الموعد، الكفر، التثاقل عن الجهاد في سبيل الله، الكسل في الصلاة، الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

2. من أبرز صفات المنافقين الأخلاقية الاجتماعية: الكذب، السخرية والاستهزاء، الفتنة بين المؤمنين، السفة، إيذاء النبي والمؤمنين، التجسس، هجر القرآن، نقض العهد، قطيعة الرحم.

3. من أبرز صفات المنافقين النفسية: الحسد، الجبن والخوف، الرياء، الاستكبار، البخل، الخداع، الفساد في الأرض، سوء الظن.

4. من أبرز الوسائل الشرعية الواجب إتباعها لمواجهة النفاق وأهله: تصحيح العقيدة، الدعوة إلى الله، الاستقامة على الدين أمراً ونهياً، كثرة ذكر الله عز وجل وقراءة القرآن وتدبره، بناء أسرة مسلمة الوعي بمخططات المنافقين وأساليبهم، طلب العلم النافع وجهاد المنافقين.

وفي ضوء النتائج التي توصلت إليها نوصي الباحث بما يلي:

1. ضرورة البدء بترسيخ البناء العقائدي، والأخلاقي، والنفسي عند البدء بأي إصلاح تربوي أو اجتماعي، أو أخلاقي، وذلك من خلال غرس الاعتزاز بالإسلام في نفوس الناشئة.

2. إصلاح المناهج التربوية بحيث تربي الأجيال الناشئة تربية إيمانية متكاملة ترسخ في النفوس حب الصلاح وفعل الخير، ومن خلال تضمين المقررات الدراسية بعض مواقف المنافقين حتى يتعرف المتعلمون على ذلك الصفات ويتجنبوها.

3. على ولاة الأمر وضع خطة استراتيجية تهدف من خلالها إلى تهيئة الناس لقبول تطبيق شرع الله في المنافقين لصيانة المجتمع من شرورهم.

4. الاهتمام بتربية الجيل وبنائه بناءً إسلامياً متكاملاً، والتركيز على البناء العقائدي والأخلاقي والاجتماعي، والعناية بغرس قضية الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيل الله بكل الوسائل المتاحة، والغيرة على المحرمات، وحمايتهم من فساد البيئة وأخطار المنافقين.

5. ضرورة عناية علماء المسلمين بمبدأ الوقاية خير من العلاج وعمل برنامج لذلك، وعلى الآباء والمربين ملاحظة أي تغيرات تطرأ على سلوك الأبناء والبحث على خلفيات وتوجيه هذا السلوك بم يحقق الانضباط الأخلاقي وعلاج الأخطاء أولاً بأول فكرية كانت او أخلاقية.

6. ضرورة عمل المربين على إبعاد التلاميذ عن البيئة الفاسدة أو التي تشجع الفساد والانحراف، وتوعيتهم وتوجيههم وإرشادهم نحو الفضائل.

وبهذا أكون قد أنهيت بحثي، وأسأل الله أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله قبولاً حسناً.

فهارس المصادر والمراجع

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	سورة البقرة	رقم الآية	الصفحة
1	وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا....	14	78
2	وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى...	120	108
	سورة آل عمران		
3	وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ...	78	107
4	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا...	100	109
5	إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ...	120	133
6	وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا...	167	133
	سورة النساء		
7	بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا	138	134
8	الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ...	139	134
9	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ...	142	71-70
10	مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء...	143	71/67
11	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ...	145	61
12	يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ...	176	31
	سورة المائدة		
13	هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللهِ...	17	107
14	هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي...	72	107
	سورة الأعراف		

15	سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ...	146	28
	سورة الأنفال		
16	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً	15	100
17	وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ...	16	100
18	إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ...	18	46
19	وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ...	34	46
20	وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ...	39	98
21	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ ...	45	100
22	الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ...	56	47
23	وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ...	58	47/46
24	وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ ...	59	46
25	وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ...	60	121
26	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا	72	96
27	وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ...	74	47
	سورة التوبة		
28	بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ...	1	44/17
29	وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ	2	23
30	فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...	3	52/48/17
31	إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ...	4	47
32	فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ...	5	123/114/102/98
33	وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ...	6	102/24
34	كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللهِ...	7	102/47

35	كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ...	8	114
36	فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ	11	17
37	أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ...	13	123/103/101
38	قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ...	14	103
39	وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ	15	103/17
40	أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ...	16	103
41	أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ...	19	35
42	الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ...	20	103
43	يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ...	21	103
44	خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ	22	103
45	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ...	23	135/62
46	أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ...	24	104
47	لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ...	25	30
48	ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء...	27	104
49	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ...	28	104
50	قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ...	29	115/108/104/101/73/50
51	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ ...	30	108
52	اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن...	31	109
53	لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا	32	130/119/110/101/73/34
54	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ...	33	119/110
55	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ...	34	113/110/74/34/24
56	هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ ...	35	130/113

57	وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ...	36	98
58	مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...	38	117/100/25
59	إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ...	39	117
60	إِلَّا تَنصُرُوهُ...	40	120/119/117/101/30
61	انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا...	41	130/117/90/98/96/30
62	وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ...	42	127/84/75/22
63	عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى...	43	75
64	لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ...	44	128/75
65	إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ...	45	128/67
66	وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً...	46	130/129/76
67	يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ...	47	131/129/76/51
68	لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ...	48	131/76/73
69	وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي...	49	131/76/25/21
70	إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ...	50	131/128/76
71	قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا...	51	131/128/76
72	قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ...	52	131/128/77
73	قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا...	53	132/77
74	وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ...	54	132/77/51
75	فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ...	55	132/77
76	وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم...	56	132/127/85/70/60
77	لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ...	57	132/78
78	وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ...	58	136/132/78/74/46

79	وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَآ آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ...	59	132
80	وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ...	61	133/25/22
81	يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ...	62	133/85
82	أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...	63	78
83	يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ...	64	133/67
84	وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ...	65	133/78/74/61/34
85	لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ...	66	133/78/61
86	الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ...	67	129/78/71/62
87	وَعَدَ اللّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ...	68	129/124/79
88	أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ...	70	101
89	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ...	71	120
90	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ...	73	123/115/51
91	وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا...	74	133/85/80/62
92	وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ...	75	134
93	فَلَمَّآ آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ...	76	134
94	فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ...	77	68
95	الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...	79	136/134/80/62/35
96	اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ...	80	80/36
97	فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ ...	81	134/129/80
98	فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء...	82	134/123/80
99	فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ...	83	80
100	وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا...	84	81/36

101	وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا...	85	81
102	وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللهِ...	86	134/127/81
103	رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ...	87	92/81/68
104	وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ...	92	134
105	إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ...	93	70/68
106	يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ...	94	71/70
107	سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ...	95	86
108	يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ...	96	86
109	وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ...	106	26
110	وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا...	107	135/86/70/37/36/25
111	لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى...	108	134/37
112	إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ...	111	66/26
113	التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ ...	112	66
114	مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ...	113	38/37/34
115	لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ...	117	38
116	ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ ...	118	104/26
117	وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين	119	39
118	وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ...	122	100
119	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم...	123	124/101/100/51
120	وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ...	124	82/66
121	وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ...	125	82/68
122	أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ...	126	82

123	وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ...	127	82/68
124	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...	128	49/48/30/20
125	فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ...	129	66/52
	سورة يونس		
126	وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ...	2	49/48
127	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ	108	49
	سورة الحج		
128	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ...	18	50
129	أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...	39	122
130	الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍ...	40	122
131	وَجاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ	78	96
	سورة غافر		
132	إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ...	51	120
	سورة الحجرات		
133	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...	10	122
	سورة المجادلة		
134	وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ	14	87
135	فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ...	18	87
	سورة الحشر		
136	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ...	11	134
	سورة المنافقون		
137	يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ...	4	132/73

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث	الراوي	الصفحة
1	آخر سورة نزلت كاملة براءة...	البخاري	31/20
2	أخرجوا المشركين من جزيرة العرب...	البخاري	24
3	أرسل إلي أبو بكر فتتبعت القرآن حتى وجدت	البخاري	20
4	أربع من كن فيه كان منافقا خالصا...	البخاري	62
5	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله...	البخاري ومسلم	115/98
6	إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء...	ابن ماجه	63
7	أن التولي يوم الزحف من السبع الموبقات	البخاري ومسلم	100
8	أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ...	البخاري	123
9	آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب...	البخاري	62
10	جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم...	ابو داود	96
11	رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة ...	الترمذي	104
12	فأذن معنا علي بن أبي طالب في أهل منى ببراءة...	البخاري	19
13	فوالله ما أعلم أحداً أبلاه الله في صدق...	البخاري	39
14	لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون ...	مسلم	120/115
15	لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونِيَّة...	البخاري ومسلم	100
16	لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ...	البخاري	115
17	لكل غادر لواء يوم القيامة...	البخاري	46
18	لما توفي عبد الله بن أُبَيّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله..	البخاري	36
19	لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ...	البخاري	38

20	لما نزلت آية الصدقة، كنا نُحامل...	البخاري	35
21	لو قعدت العام عن الغزو قال: أتت علينا البحوث	البيهقي	23
22	لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله...	الترمذي	105
23	ما حملكم أن عمدتم إلى براءة وهي...	الترمذي	27
24	ما زالت تنزل ومنهم ومنهم...	مسلم	72/22
25	مثل المؤمن كمثل الزرع، لا تزال الريح تميله ولا...	مسلم	25
26	من كان حالفا، فليحلف بالله، أو ليصمت...	البخاري	84
27	من مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه ...	مسلم وابو داود	25
28	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا	البخاري	122
29	نزلت في أهل قباء فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ...	الترمذي	37
30	وفي عنقي صليب من ذهب فقال...	الترمذي	104
31	وكان لي من صاحب من الأنصار...	البخاري	31

ثالثا: فهرس الأعلام

م	أسماء الأعلام	الصفحة
1	أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي	22
2	أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه	21
3	أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله	21
4	أبوخزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة	20
5	أحمد بن إسحاق بن الحصين بن جابر السلمي	31
6	أحمد بن الحسين بن علي	134
7	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام	97
8	أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين اللغوي	41
9	أحمد بن موسى ابن مردويه	21
10	إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي	46
11	البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي	20
12	جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي	115
13	جد بن قيس	128
14	الحارث بن يزيد العكلي التيمي	18
15	حذيفة بن اليمان ﷺ حليف بني الأشهل	18
16	الحسن البصري	23
17	الحسين بن محمد بن المفضل	96
18	حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن مالك	134
19	زيد بن ثابت بن الضحاك	20

20	سعد بن طارق بن أشيم الأشجعي	30
21	سعيد بن المسيب	38
22	سعيد بن جبير الأسدي	21
23	سيد قطب إبراهيم الشاذلي	26
24	صفية بنت حيي بن أخطب	109
25	عاصم بن عدى بن الجد	37
26	عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي	61
27	عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين	19
28	عبد الرحمن بن علي أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي	18
29	عبد العزيز بن مروان بن الحكم	117
30	عبد الله أو عبد الرحمن بن صخر الدوسي	19
31	عبد الله بن أُبيّ	36
32	عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة	38
33	عبد الله بن عباس بن عبد المطلب	18
34	عبد الله بن عبد الله بن أبي	36
35	عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي	18
36	عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري السلمي	39
37	عبد الله بن محمد الكوفي المعروف بابن أبي شيبة	22
38	عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان	21
39	عبد المطلب أبو الفضل الهاشمى	38
40	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي	30
41	عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان	36

42	عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم	40
43	عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب	19
44	عبيد بن عمير بن قتادة الليثي	22
45	عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية	27
46	عدي بن حاتم بن عبد الله	109
47	عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي	35
48	علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي	19
49	عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى	31
50	عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي	38
51	فضل حسن عباس	31
52	قتادة بن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسي	18
53	كعب بن مالك بن أبي كعب	39
54	مالك بن الدخشم	37
55	مجاهد بن جبر أبو الحجاج	30
56	محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور	19
57	محمد بن إبراهيم ابن المنذر النيسابوري الفقيه	21
58	محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي	129
59	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري	49
60	محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري	20
61	محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي	42
62	محمد بن جرير بن يزيد الطبري	70
63	محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي	45

64	محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه	22
65	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني	108
66	محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك	20
67	محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي	97
68	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي	24
69	محمد بن مكرم بن على	60
70	محمد رشيد بن علي رضا	108
71	محمد بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري	23
72	محمد بن إسحاق	127
73	مسلم بن صبيح مولى لآل سعيد بن العاص القرشي	30
74	معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الانصاري الخزرجي	104
75	مقاتل بن حيان النبطي	30
76	المقداد بن عمرو بن ثعلبة البهرائي	18
77	مناع خليل القطان	41
78	النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري	35
79	يزيد بن هرمز الفارسي	27

رابعا: فهرس المصادر والمراجع

أ-المراجع العامة

1. القرآن الكريم
2. الأبشيهي، شهاب الدين ابن أحمد. **المستطرف في كل فن مستظرف**. القاهرة: المكتبة التوفيقية. د.ط.
3. ابن الأثير، علي بن محمد . 1996 م. **أسد الغابة**. تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط1.
4. الأدنروي، احمد بن محمد. 1997م. **طبقات المفسرين** . تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم، ط1.
5. الأصبهاني، أحمد بن علي . 1407هـ. **رجال صحيح مسلم** . تحقيق: عبد الله الليثي، بيروت: دار المعرفة.د.ط.
6. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. 1992م. **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**. بيروت: دار الفكر، د.ط.
7. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. 1992م. **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق : صفوان عدنان داودى، بيروت: دار العلم الدار الشامية، د.ط.
8. الألوسي، محمود أبو الفضل . **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.
9. البقاعي ، برهان الدين إبراهيم بن عمر.1995م. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.
10. أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى.2003م. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط5.

11. البيهقي، أحمد بن الحسين.1988م. **دلائل النبوة**. تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط1.
12. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.1978م. **الاختيارات الفقهية**. تحقيق: علي بن محمد بن عباس البعلى الدمشقي، بيروت: دار المعرفة، د.ط.
13. ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم . 1992م. **فقه الجهاد**. تهذيب وتعليق: زهير شفيق الكبي، بيروت : دار الفكر العربي، د.ط.
14. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.2005م. **مجموع الفتاوى**. تحقيق : أنور الباز – عامر الجزار، دار الوفاء ،ط3.
15. الجزيري، عبد الرحمن بن محمد.2003م. **الفقه على المذاهب الأربعة**. بيروت: دار الكتب العلمية، ط2.
16. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي.1404هـ. **زاد المسير في علم التفسير**. بيروت: المكتب الإسلامي، ط3.
17. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي . 1408 هـ -1987 م . **فنون الأفنان في علوم القرآن**. تحقيق : د حسن ضياء الدين عتر، بيروت : دار البشائر الإسلامية، ط1.
18. ابن حبان، محمد بن حبان.1975م. **الثقات**. تحقيق : السيد شرف الدين أحمد. دار الفكر،ط1.
19. ابن حجر، أحمد بن علي. 1412هـ. **الإصابة في تمييز الصحابة**. تحقيق : علي محمد البجاوي. بيروت: دار الجيل،ط1.
20. الحطاب الرُّعيني، شمس الدين أبو عبد الله.2003م. **مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل**. تحقيق : زكريا عميرات. دار عالم الكتب، د.ط.
21. الذهبي، محمد بن أحمد .1998م. **تذكرة الحفاظ**. تحقيق: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1.

22. الذهبي، محمد بن أحمد .و**سير أعلام النبلاء**. تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط. الناشر: مؤسسة الرسالة، د.ط.
23. الذهبي، محمد حسين.2000م. **التفسير والمفسرون**. مكتبة وهبة، ط7.
24. الرازي، محمد بن أبي بكر.1999م. **مختار الصحاح**. تحقيق : يوسف الشيخ محمد. بيروت : دار النموذجية، ط5.
25. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد.1408هـ. **جامع العلوم والحكم**. بيروت: دار المعرفة، ط1.
26. رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا.1990م. **تفسير المنار**. المصرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط.
27. الزحيلي، وهبة بن مصطفى.1418هـ. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. دمشق: دار الفكر المعاصر،ط2.
28. الزحيلي، وهبة بن مصطفى .1422هـ.**التفسير الوسيط** . دمشق: دار الفكر،ط1.
29. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله.1957م. **البرهان في علوم القرآن**. تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1.
30. الزركلي، خير الدين بن محمود.2002م. **الأعلام**. دار العلم للملايين، ط15.
31. الزهري، محمد بن سعد .2001م. **كتاب الطبقات الكبير**. تحقيق : دكتور علي محمد عمر.القاهرة: مكتبة الخانجي،ط1.
32. أبو السعود، محمد بن محمد .**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.
33. سيد قطب، سيد قطب إبراهيم. **في ظلال القرآن**. القاهرة: دار الشروق، د.ط.
34. السيوطي ،جلال الدين ابي عبد الرحمن . **الإتقان في علوم القرآن**. القاهرة :دار الحديث، د.ط.

35. السيوطي، جلال الدين ابي عبد الرحمن .**لباب النقول في أسباب النزول**. بيروت : دار إحياء العلوم ،د.ط.

36. السيوطي، جلال الدين ابي عبد الرحمن .1969م. **إسعاف المبطأ برجال الموطأ**. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، د.ط.

37. شاحاك، إسرائيل شاحاك.2001م. **التاريخ اليهودي والدين اليهودي**. مؤسسة ينابيع للإعلام، د.ط.

38. الشوكاني، محمد بن علي . **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. بيروت: دار الفكر، د.ط.

39. الشوكاني، محمد بن علي .1414هـ. **فتح القدير**. بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1.

40. الصابوني، محمد علي.1988م. **قبس من نور القرآن**. دمشق: دار القلم ،ط2.

41. الصلابي، علي محمد الصلابي . **ابو بكر الصديق ﷺ شخصيته وعصره**،(لم أجده مطبوعا وإنما نسخة على الوورد).

42. صلاح الخالدي.1418هـ. **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**. الأردن: دار النفائس،ط1.

43. صلاح الخالدي.1414هـ. **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد** . بيروت: دار الشامة،ط2.

44. الطبراني ، سليمان بن أحمد. 1415هـ .**المعجم الأوسط** .تحقيق : طارق بن عوض الله. القاهرة : دار الحرمين ، د.ط.

45. الطبري ،محمد بن جرير.2000م. **جامع البيان في تأويل القرآن**. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة، ط1.

46. الطحاوي، أحمد بن محمد. 1494 م. **شرح مشكل الآثار**. تحقيق : شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، ط1.

47. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد.1984م. **التحرير والتنوير** . تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط.

48. عبد الباقي، محمد فؤاد. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. القاهرة : دار الحديث،د.ط.

49. عبد الستار فتح الله سعيد .1986م. **المدخل الى التفسير الموضوعي**. دار التوزيع والنشر الإسلامية،ط1.

50. ابن العربي، محمد بن عبد الله .2003م. **أحكام القرآن**. تحقيق: محمد عبد القادر عطا.بيروت: دار الكتب العلمية، ط3.

51. ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن حجر. **تهذيب التهذيب**. مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، د.ط.

52. ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن حجر. 1986م. **تقريب التهذيب**. تحقيق: محمد عوامة .سوريا: دار الرشيد، د.ط.

53. ابن فارس، أحمد بن فارس.1979م. **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق : عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر، د.ط.

54. الفخر الرازي، فخر الدين محمد بن عمر .2000م. **مفاتيح الغيب**. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1.

55. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. **كتاب العين**. تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم . دار ومكتبة الهلال، د.ط.

56. فضل حسن عباس.1997م. **إتقان البرهان في علوم القرآن**. عمان: دار الفرقان، ط1.

57. الفيومي، أحمد بن محمد. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**. بيروت: المكتبة العلمية، د.ط.

58. ابن قاضى شهبة، أبو بكر بن أحمد.1407هـ. **طبقات الشافعية**. تحقيق : الحافظ عبد العليم خان . بيروت: عالم الكتب، ط1.

59. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد.1405. **المغني**. بيروت: دار الفكر، ط1.

60. القرطبي، محمد بن أحمد .1964م. **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2.

61. القرطبي، محمد بن أحمد .2003م. **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: هشام سمير البخاري. الرياض: دار عالم الكتب، د.ط.

62. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. **التفسير القيم** .تحقيق: محمد حامد الفقى. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.

63. ابن كثير ،إسماعيل بن عمر.1999م. **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2.

64. كحالة ، عمر بن رضا . **معجم المؤلفين** .بيروت :مكتبة المثنى ، دار إحياء التراث العربي، د.ط.

65. المباركفوري ، صفي الرحمن.2007م.**الرحيق المختوم**. قطر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، د.ط.

66. مصطفى مسلم.1989م. **مباحث في التفسير الموضوعي**. دمشق: دار القلم،ط1.

67. مناع القطان، مناع خليل القطان.2000م. **مباحث في علوم القرآن**،. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،ط3.

68. المنصوري، مصطفى الحصن المنصوري .1996م. **المقتطف من عيون التفسير**. تحقيق: محمد علي الصابوني. بيروت: الدار الشامية،ط2.

69. ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**. بيروت: دار صادر،ط1.

70. النووي، محيي الدين بن شرف.1392هـ. **المنهاج شرح صحيح مسلم** . بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2.

71. النووي، محيي الدين بن شرف. **تهذيب الأسماء واللغات**. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.

72. ابن هشام، عبد الملك بن هشام .1411هـ. **السيرة النبوية لابن هشام**. تحقيق : طه عبد الرؤف سعد. بيروت: دار الجيل، د.ط.

73. وافي، على عبد الواحد وافي.1996م. **الأسفار المقدسة** . القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ط.

ب- المراجع الحديث الشريف:

74. **صحيح البخاري**، للإمام محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري.1422هـ. تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1.

75. **صحيح مسلم**، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.1972م. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت : دار إحياء التراث العربي، ط2.

76. **سنن أبي داود**، للإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، صيدا، د.ط.

77. **سنن الترمذي**، وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ، للإمام الحافظ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي.1417هـ. حكم وعلق على أحاديثه : المحدث ناصر الدين الألباني ، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،ط1.

78. **سنن ابن ماجة**، للإمام محمد بن يزيد القزويني. 1417هـ. حكم وعلق على أحاديثه : المحدث ناصر الدين الألباني ، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،ط1.

79. **سنن الكبرى** ، للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي.1424 هـ - 2003 م. تحقيق : محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط3.

ج- المراجع والرسائل والبحوث ومواقع شبكة المعلومات "الحاسوب"

80. **التفسير التحليلي** 1 ،GUQR5253، مقرر لجامعة المدينة العالمية،2009.

81. الجرايدة، جمال محمود نايف.2010م. **السمات الشخصية للمنافقين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية**. رسالة ماجستير. بإشراف الجامعة الإسلامية بغزة، د.ط.

82. http://ar.wikipedia.org/wiki

83. http://www.daawa-info.net/bio.php?id=92